الطريق إلى العفو

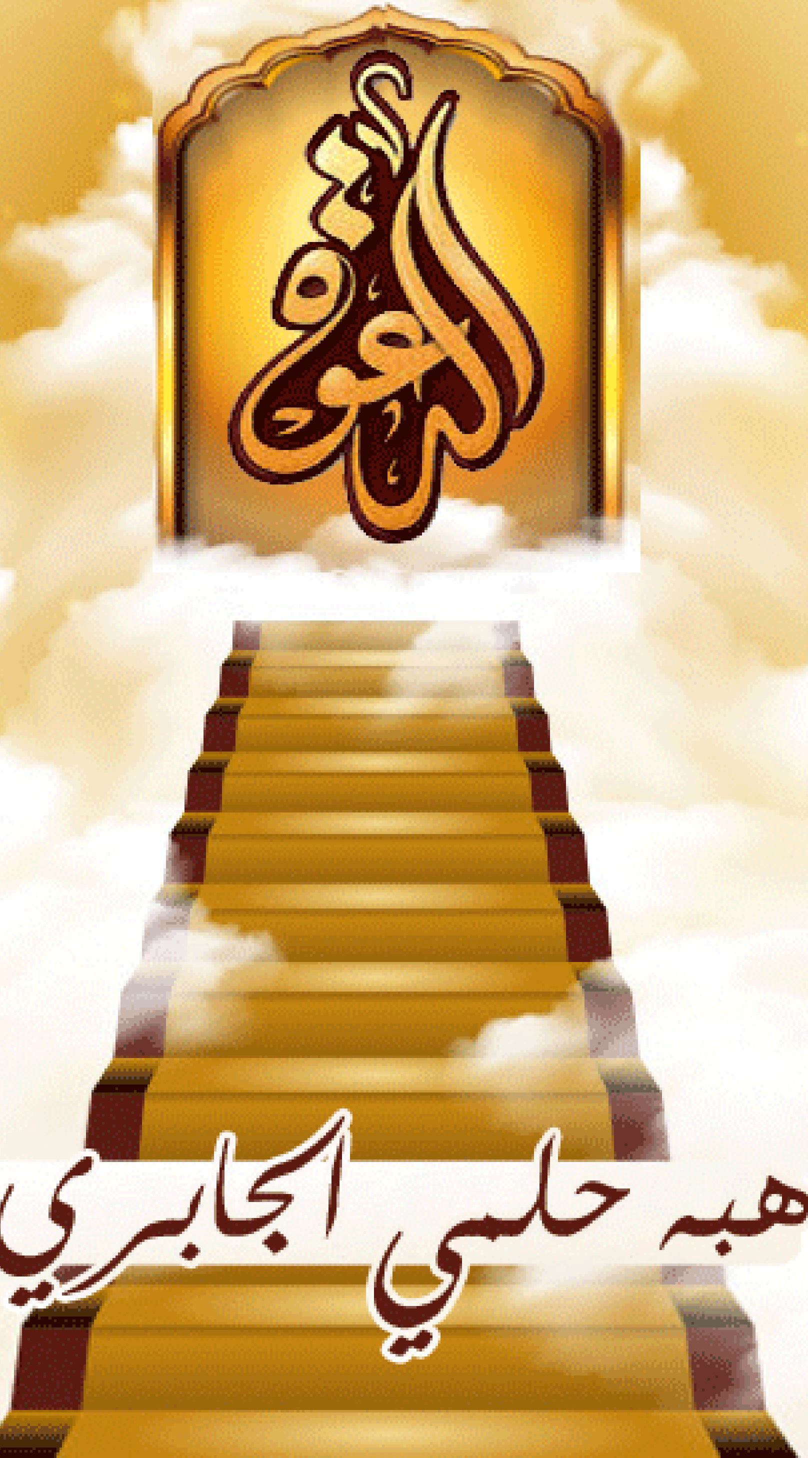

هبه حلمي الجابري

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تمهيد

بدأت فكرة الكتاب بالرغبة في تقديم دورةٍ علميةٍ عن منهج يسير عليه كل من يحمل هم الدعوة؛ ليصل بها إلى قلوب الناس بطريقةٍ صحيحةٍ مؤثرةٍ، واستعنتُ في إعدادها بكتاب دراسات في الدعوة الإسلامية للدكتور عبد القادر سيد عبد الرؤوف - والذي شَرُفتُ بدراسته في معهد إعداد الدعاة – مع العديد من المقالات عن الدعوة الإسلامية، وأضفت معها - على استحياء - بعض خبرتي المتواضعة في مجال الدعوة على مدار سنوات، وبعد انتهاء الدورة اقترحت بعض الأخوات تجميعها في كتاب.

أسأل الله أن ينفع به وأن يتقبل هذا العمل المتواضع وأن يجعله خالصًا لوجهه.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وإمام الدعاة سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم وسار على طريقتهم إلى يوم الدين.

وبعد ...

فإن رسالة الإسلام رسالة عالمية تامَّة شاملة لكل جوانب الحياة، صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان إلى قيام الساعة، جاءت لتُنير العالم وتُضيء حياة من تبعها في مشارق الأرض ومغاربها، وحتى تصل إلينا، أرسل الله إلينا خاتم الأنبياء وسيد المرسلين فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده، ثم سار صحابته على نهجه فأدُّوا ما عليهم، وهكذا قيض الله من يحمل هم الدين وتوصيل رسالة الإسلام الحقيقية السمحة إلى العباد.

ولكن حتى تجد هذه الدعوة طريقها إلى القلوب، وتكون مؤثرة في حياة العباد، وتؤدي دورها الحقيقي في إصلاح البشرية؛ لابد للداعية من صفات، ولابد للدعوة من أساليب ينتهجها من يدعو إلى الله.

وانطلاقًا من أهمية رسالة الإسلام، وضرورة إعداد الدعاة لحمل الراية، وبيان أهمية الدعوة، ووسائل تبليغها، كانت هذه الكلمات.

أهمية الدعوة

لا بد أن نستشعر أهمية الدعوة في حياتنا وخصوصًا في هذه الأيام، فإن للدعوة إلى الله تعالى أهمية كبيرة؛ فهي حياة الأديان، وبها يُعرف الحق من الباطل، كما أنها وظيفة الأنبياء والمرسلين والمصلحين.

ولو نظرنا إلى الأديان والمذاهب، لوجدنا أنها قامت بالدعوة إليها من قِبَل أتْباع يدعون لها ويؤيدونها وينصرونها، فالعقول البشرية لا تستطيع وحدَها أن تُدرك مصالحها الحقيقية التي تكفل لها السعادة في الدنيا والآخرة، ولا تهتدي إلى تمييز الخير من الشرِّ، والمعروف والمنكر، وليس من طبيعتها الوقوف على حقائق الأمور مهما وصلت إلى الغاية القصوى من الإدراك، فمن الممكن أن تميل عن الحق إلى الباطل، وتنحرف عن الصلاح إلى الفساد، وقد يخفى عليها وجه المصلحة، وقد تظن الشرَّ خيرًا والخيرَ شرًّا، يقول تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢]؛ ولذلك فقد أنزل الله الرسل عليهم الصلاة والسلام إلى الناس؛ حتى لا يكون لأحد من الناس حجة على الله تعالى؛ قال تعالى: ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥]

وجاء مسك الختام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فبلَّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، ونصح الأُمَّة، وكشف الغُمَّة، ومحَا الظُّلْمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى نزل

عليه قوله تعالى :﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣].

وجاء الصحابة رضي الله عنهم بعده، فحملوا الرسالة، وبلَّغوها إلى الإنسانية، فانتشر الإسلام، وأصبحت له القوة والعزة والمناعة.

وهكذا العلماء والدعاة في كل زمان ومكان تهتدي الأُمَّة بهم، وبهم يُحفظ الدين، وتُرفع راية السنة، وتُصان عزة الأمَّة وكرامتها، وعلى العكس من ذلك يوم تخلَّى المسلمون عن الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وألغوا عقولهم هانوا وحُرِموا الخير كله.

ومن هنا تأتي أهمية الدعوة في حياتنا، والسكوت عنها يؤدي إلى أن تأخذ المنكرات طريقها إلى النفوس، فتتمكَّن منها، وهذا يؤدي إلى الدمار، وقد حذَّرنا الله تعالى من ذلك فقال :﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٦]؛ ولهذا أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بعده فقال :﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٥٥]، وقال :﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴾ [الغاشية: ٢١]، ويقول تعالى :﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

فما بالكم بزمن - للأسف -كثير من المسلمين فيه لا يعرفون شيئًا عن أساسيات دينهم، والمناهج الدراسية الدينية في المدارس لا تُقدِّم أي شيء، والبرامج التلفزيونية - لو تكلمت عن الدين - تحدَّث عن قشور؛ بل أصبح بعضها موجهًا لبث الشك في نفوس المسلمين وزعزعة ثوابت الدين والطعن في أئمتهم.

وهناك من هو متعطش لتعلم أمور الدين، حتى وإن كان مظهرهم الخارجي لا يدل على ذلك، ففي نفوس كثير منهم خير يحتاج إلى من يبرزه، يريدون معرفة تعاليم دينهم؛ لكن لا يعرفون السبيل إلى ذلك، ليس هذا فقط؛ بل إن غير المسلمين بحاجة ماسَّة إلى الدعوة، يحتاجون إلى معرفة حقيقة الإسلام، وليس الإسلام المشوَّه الذي يصل إليهم عن طريق الإعلام أو بسبب سلوك بعض المسلمين البعيد تمامًا عن حقيقته.

إنها لنعمة كبيرة أن يكون لديك لغة أخرى بجانب اللغة العربية، تستطيع بها أن تدعو أصحاب الأمم الأخرى إلى الإسلام، وذلك من منطلق أن الدعوة الإسلامية دعوة عالمية جاءت للبشرية جمعاء، ولم تختصَّ ببيئة معينة كما كانت الدعوات السابقة لها، ولم تحدد بزمان أو مكان معين؛ بل جاءت للناس كافة؛ ولهذا قال المولى عز وجل : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ: ٢٨]، الأبيض والأسود والأحمر والأصفر والعرب والعجم والإنس والجن.

قد يقول قائل :ليس عندي العلم الشرعي الكافي للدعوة، وللإجابة عليه نقرأ هذا الحديث النبوي الخطير، فلن يجعل لأي فرد حُجَّة في ترك الدعوة إلى الله؛ يقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه البخاري: ((بلِّغُوا عني ولو آيةً، وحدِّثوا عن بني إسرائيلَ ولا حرجَ، ومَنْ كذبَ عليَّ متعمِّدًا فليتبوَّأْ مقعدَه من النارِ))، فبلِّغوا: فيها تكليف، وعنِّي: فيها تشريف، ولو آية :فيها تخفيف.

لو عَلِمْتُم آية واحدة فقط بلغوها، واجعلوا لكم دَورًا في رجوع الأمَّة للصراط المستقيم.

((بلِّغُوا عني ولو آية)) : بلغوا الناس بما يقول، وبما يفعل، وبجميع سُنَّته عليه الصلاة والسلام، ((بلِّغوا عني ولو آية)) من كتاب الله، و((لو)) هنا للتقليل؛ فلا يقول الإنسان: أنا لا أبلغ إلا إذا كنت عالمًا كبيرًا؛ إنما يبلغ الإنسان ولو آية بشرط أن يكون قد علمها، وتأكد أنها من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم؛ ولهذا قال في آخر الحديث: ((ومن كذب علي متعمِّدًا فليتبوأ مقعده من النار))؛ من كذب على الرسول متعمِّدًا، فيعلم أنه كاذب، فليتبوَّأ مقعده من النار، فهنا اللام للأمر؛ لكن المراد بالأمر هنا الخبر، يعني: فقد تبوَّأ مقعده من النار، والعياذ بالله؛ أي: فقد استحقَّ أن يكون من ساكني النار؛ لأن الكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم ليس كالكذب على واحد من الناس، الكذب على الرسول كذب على الله عز وجل، ثم هو كذب على الشريعة؛ لأن ما يخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من الوحي هو من شريعة الله.

كل من كان عنده معلومة ممكن أن يستفيد منها مسلم ولم يذكرها ولم يُعَلِّمها لغيره، ماذا سيقول لله عندما يقف بين يديه؟

ويقول صلى الله عليه وسلم: ((نضَّر اللهُ امْرَأً سمِع منَّا شيئًا، فبلَّغه كما سمِعَهُ، فرُبَّ مُبلَّغٍ أوعَى لهُ من سامِعٍ))؛ صحيح الجامع، وهذا مثل قوله صلى الله عليه وسلم: ((رُبَّ حاملِ فقهٍ ليس بفقيهٍ، ورُبَّ حاملِ فقهٍ إلى من هو أفْقَهُ منه))؛ صحيح الترغيب، والحديثان يدلان على أهمية تبليغ الدين نزولًا عند قوله صلى الله عليه وسلم: ((بلِّغُوا عني ولو آية))، ولا يَصُدُّ المبلِّـغ في تبليغه جهله بالمبلغ به.

قد تسمع حديثًا أو معلومةً لا تفهم معناها أو المغزى منها وتنقلها فتكون حبل نجاة لغيرك، وقد تنقل مقالة أو ردًّا على سؤال لا تلقي له بالًا يكون سببًا في تغيير حياة إنسان، وتجعله يفيق من غفلته، أو يُصوب فعلًا خاطئًا كان يعمله.

وهنا لا بد من وقفة لتسأل نفسك إذا كان المطلوب منك ولو آية ولو حديث، فماذا قدَّمت لدين الله؟ هل بذلت جهدًا في خدمة الدين ولو كان قليلًا؟ هل أهديت لقريب أو زميل شريطًا بعد أن سمِعته أو كتيبًا بعد أن قرأته؟ هل قرأت معلومة أعجبتك، فنشرتها على وسائل التواصل الاجتماعي؟

لم تنتشر المنكرات في مجتمعنا في يوم وليلة؛ ولكن انتشرت لأن واحدًا فعل، وآخر سكت، وهما شريكان في الإثم، ولا ينجو إلَّا من نهى عن المنكر، وأمر بالمعروف.

كلنا قرأنا قصة أصحاب السبت في سورة الأعراف :﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ [الأعراف: ١٦٤]، يقولون لمن ينهى أصحاب السبت عما يفعلونه من منكر: لماذا تتعبون أنفسكم مع قوم لا أمل في هدايتهم؟! فيقولون :﴿ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٤]، فماذا كانت النتيجة؟ لما نزل العذاب، ذكر الله كيف نجا من أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وذكر عذاب أصحاب السبت، أما من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد سكتوا، فسكت الله عنهم.

في مجالسنا ومجتمعنا من يشوش على الناس مفاهيمهم ويُلبِّس عليهم دينهم، وينتقص أهل الصلاح منهم !فهل دافعت عن دينك وعن أهل الصلاح بالتي هي أحسن؟

ويحضرني هنا قصَّتان الأولى :قصة تلك المرأة النصرانية التي حضرت أحد المؤتمرات التي أُقيمت للتعريف بالدين الإسلامي، وبعد سماعها لتعريف مختصر لخصائص هذا الدين ومميزاته، قالت: لئن كان ما ذكرتموه عن دينكم صحيحًا إنكم لظالمون! فقيل لها: ولماذا؟ قالت :لأنكم لم تعملوا على نشره بين الناس والدعوة إليه!

والثانية :ذكر أحد الدعاة أنه كان في بعض دول أفريقيا في رحلة شاقَّة إلى قرية من القرى، وكانت السيارة تسير وسط غابة كثيفة، والطريق وعرٌ وعورةً يستحيل معها أن تسرع السيارة أكثر من ٢٠ كم في الساعة، وقد بلغ منَّا الإرهاق مبلغه، وكأن البعض قد ضاق صدره من طول الرحلة، وبدأ يتأفَّف من شدة الحر وكثرة الذباب والغبار الذي ملأ جو السيارة، وفجأة يقول: شاهدنا على قارعة الطريق امرأة أوربية قد امتطت حمارًا وعلَّقت صليبًا كبيرًا على صدرها، وبيدها منظار، وعند سؤالها عن سبب وجودها في هذه الغابة تبيَّن أنها تدعو للصليب في كنيسة داخل القرية، ولها سنتان، قال صاحبي: فقلنا: "اللهم إنا نعوذ بك من جلد الفاجر وعجز الثقة. "

الهدهد يعمل للدعوة، فلا يستطيع أن يرى منكرًا ويسكت، لم يقل: إن هذا لا يعنيني! لم يقل: أَسْألُ الله لهم الهداية واكتفى بذلك! لم يتصرَّف بسلبية! بل تحرَّك وكان سببًا في هداية قوم سبأ جميعًا.

هذا الداعية الكويتي عبدالرحمن السميط يدعو إلى الله في أدغال أفريقيا فيُسلم على يديه ثلاثة ملايين شخص! وهذه امرأة تدعو بالمراسلة على شبكة الإنترنت ويُسلم على يديها الآلاف وهي امرأة مقعدة لا يتحرَّك منها إلا رأسها! وهذا شاب مصري يهتدي على يديه عبر الإنترنت ما يزيد على خمسمائة من النصارى!

قال صلى الله عليه وسلم: ((مَن دَعا إلى هُدى كان له من الأجرِ مِثلُ أجورِ مَن تَبِعَه، لا ينقص ذلك من أجورِهم شيئًا))؛ رواه مسلم.

كان أول من أسلم برسالة الإسلام خديجة بنت خويلد، وأبو بكر الصديق، وزيد بن حارثة، وعلي بن أبي طالب، وفي اليوم الثاني من أيام الدعوة بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون الأوائل يتحركون لانتقاء عناصر جديدة. ولنا وقفة مهمة مع

حركة الصديق رضي الله عنه، فقد كان الصديق إيجابيًّا بدرجة لا يمكن وصفها، أسلم على يديه: عثمان بن عفان (٢٨) سنة، والزبير بن العوام (١٥) سنة، وسعد بن أبي وقاص (١٧) سنة، وطلحة بن عبيد الله (١٦) سنة، وعبدالرحمن بن عوف (٣٠) سنة رضي الله عنهم جميعًا، وكل هؤلاء أخذوا قرار تغيير الدين والارتباط بالإسلام وتحمُّل المشاق الضخمة في هذه السن المبكرة، وهؤلاء الخمسة جميعهم من العشرة المبشرين بالجنة.

قد نتخيَّل أن الصديق بعد هذا المشوار الطويل الضخم الذي أسلم فيه على يديه خمسة من أعظم عظماء الإسلام قد أخذ قسطًا من الراحة، لا، بل إنه مباشرة أتى بمجموعة ثانية من العمالقة في الإسلام:

أول اسم :أبو عبيدة بن الجراح، أمين هذه الأُمَّة.

الاسم الثاني :عثمان بن مظعون رضي الله عنه من كبار الصحابة، ومن أوائل المهاجرين إلى الحبشة.

الاسم الثالث :الأرقم بن أبي الأرقم، وهذا الاسم يحمل معاني كثيرة.

الاسم الرابع :أبو سلمة بن عبد الأسد رضي الله عنه، زوج أم سلمة، وكلاهما من أوائل من أسلم، وغيرهم كثير.

هذا النشاط يحتاج إلى وقفة وتحليل ودراسة، ما معنى أن تكون دعوة الصديق بهذه الروعة؟ لماذا استُجيب للصديق بهذه الصورة؟

لقد كان الصديق ليِّن الجانب، وببساطة ليس بالفظِّ ولا بالغليظ، وكان تاجرًا ذا خلق واستقامة، فقد كان صدوقًا، كريمًا رحيمًا، فيه رأفة وأدب وخُلُق حسن، كما

كان الصديق عالمًا بعلم زمانه، وهو علم الأنساب، والطبقة المثقفة في مكة كانت تحب أن تجلس معه، وتسمع منه الأنساب، وكان من أدبه رضي الله عنه أنه كان لا يطعن في أنساب أحد، مع علمه بكل نقيصة في كل نسب، فهذا من حسن خلقه رضي الله عنه وأرضاه، فكيف لا يستجيب الناس لدعوته وهو بهذه الصفات؟

وهنا نقف وقفة مع أنفسنا، ونسأل: أتى الصديق بهؤلاء ونحن بمن أتينا؟

هل أتينا إلى المسجد بمسلم لا يعرف طريق المساجد؟! هل دفعنا بمسلم إلى قراءة القرآن بعد أن هجره السنوات الطوال؟! هل شرحنا لمسلم حال المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وقد نسيهم أو تناساهم؟! هل هذَّبنا من أخلاق أبنائنا وأصحابنا وشركائنا وزبائننا وجيراننا؟! هل وصلنا بالدعوة إلى كل من نعرف؟! هل؟! هل؟!

كان من هدي الرسول صلى الله عليه وسلم أنه لا يترك صغيرًا ولا كبيرًا إلا ودعاه للإسلام، فدعا مجلسًا فيه ستة من الرجال، وبدأ يتكلم مع هؤلاء في منتهى الحماس، قال: من أنتم؟ قالوا: نفر من الخزرج، والخزرج قبيلة كبيرة مشهورة في يثرب، وهناك قبيلة أخرى مشهورة هي الأوس، فجلس معهم الرسول صلى الله عليه وسلم، ودعاهم إلى الله عز وجل، وعرض عليهم الإسلام، وقرأ عليهم القرآن، كأي قبيلة من القبائل، فآمن هؤلاء الستة من ساعتهم. ونعود ونقول: ليس المهم كم شخصًا آمنوا على يديك، ولكن المهم كم شخصًا أوصلت إليه رسالة الإسلام.

وعاد الستة إلى يثرب وبدؤوا يتكلمون عن الإسلام، وليس هكذا فقط، بل بدؤوا يتحدثون مع الأوس بهذا الشأن، وتناسوا يوم بعاث، وآمن بالفعل على أيديهم اثنان من الأوس: أبو الهيثم بن التيهان، وعويم بن ساعدة رضي الله عنهما.

نسوا حرب بعاث، ونسوا العداوة، فقد دخل نور الإيمان في قلوبهم، وأرادوا أن يصل هذا النور لجميع البشر - حتى لمن كانوا أعداءهم - ومرَّت سنة كاملة وهم يعملون في الدعوة في يثرب، ومع أن علمهم قليل، وسمعوا آيات قليلة من الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لكنهم تحركوا بهذه الآيات ((بلِّغُوا عني ولو آية)).

اهتداءُ شخص واحد بسَبَب دعوتك ونصيحتك خيرٌ لك من أنفَسِ الأموال؛ يقول عليه الصلاة والسلام: ((فوَالله، لأن يهدِيَ الله بكَ رَجلًا واحدًا خيرٌ لك مِن حُمُر النَّعَم))؛ متفق عليه؛ وحمر النعم: جمع حمراء؛ وهي الناقة الحمراء، وكانت أعجب المال إلى العرب في ذلك الزمان، وأحب المال إلى العرب في ذلك الزمن، فإذا هدى الله بك رجلًا واحدًا، كان ذلك خيرًا لك من حمر النعم، خيرًا لك من كنوز الدنيا كلها، تخيَّل كيف تأخذ مثل حسناته؛ قال صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أوزارهم شَيْئًا))؛ رواه مسلم.

داعية مسلم شهير في مدينة (ميونخ) الألمانية، وعند مدخل المدينة توجد لوحة كبيرة مكتوب عليها أنت لا تعرف إطارات يوكوهاما، فنصب هذا الداعية لوحة كبيرة بجانب هذه اللوحة، وكتب عليها: أنت لا تعرف الإسلام، إن أردت معرفته اتصل بنا على هاتف كذا وكذا، وانهالت عليه اتصالات من الألمان من كل حدب وصوب حتى أسلم على يديه في سنة واحدة ألف ألماني ما بين رجل وامرأة، وأقام مسجدًا ومركزًا إسلاميًّا ودارًا للتعليم، فالبشرية حائرة وهي بحاجة ماسَّة إلى الإسلام.

هذا هو حال أصحاب الهمة، من جعلوا حياتهم كلها للدعوة، ما يشغل بالهم هو صلاح الناس وهدايتهم، لم يكتفوا بأن يكونوا صالحين؛ بل اختاروا أن يكونوا مصلحين.

ولكن نقرأ في سورة المائدة قوله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ١٠٥]، فهل هذه الآية تنافي معنى الدعوة إلى الله؟ أو تنافي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

هذه الآية لا تنافي الدعوة؛ لأن لطريق الدعوة مراحلَ أوَّلها التبليغ، وثانيها الهداية، نحن دورنا التبليغ فقط - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - أما الهداية فهي بيد الله، وطالما بلغنا ينبغي ألَّا ننشغل بغيرنا وردة فعلهم إذا عاندوا ورفضوا وضلوا، بل نهتمُّ بأنفسنا والثبات على الحق.

يقول ابن باز رحمه الله: "الآية الكريمة تدلُّ على أن الواجب على الإنسان أن يعتني بنفسه، وأن يهتمَّ بها، وأن يجتهد في صلاحها، ولا يضرُّه من ضلَّ بعد ذلك إذا اهتدى، الإنسان مسؤول عن نفسه، ولا يضرُّه ضلال غيره؛ يقول الله جل وعلا : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ [فاطر: ١٨]، وفي الحديث الصحيح يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا يجني الجاني إلا على نفسه))، فعلى المؤمن أن يسعى في صلاح نفسه واستقامتها على طاعة الله ورسوله، ولا يضُرُّه من ضلَّ إذا اهتدى.

والذي يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما اهتدى، فهو ناقص الهداية، ناقص الإيمان، فالمعنى: أنه لا يضره من ضل إذا أدَّى الواجب الذي عليه، ومن الواجب عليه أن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، هذا من الواجب عليه، وقد

خطب الصديق أبو بكر الناس، وقال لهم :إن بعض الناس يقرأ هذه الآية ويضعونها في غير موضعها، وإني سمِعت النبي يقول صلى الله عليه وسلم: ((إن الناس إذا رأوا المنكر، فلم يُغيِّروه أوشك أن يعمهم الله بعقابه))، ومراده: أنه ما يكون مهتديًا من ضيَّع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يكون ناقص الهداية، ناقص الإيمان، ضعيف الإيمان، فمعنى إذا اهتديتم يعني: إذا أدَّيتم الواجب الذي عليكم وتركتم ما حرَّم الله عليكم، لا يضُركم من ضلَّ بعد ذا، لا يضرك ضلال أبيك ولا أخيك ولا أهل بلدك ولا الناس كلهم، لا يضرك إذا أدَّيت الواجب واجتهدت في الواجب، فإنه لا يضرك من ضل، وربك يقول سبحانه :﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ [فاطر: ١٨].

لكن إذا قصَّرت في الواجب عليك يضُرُّك، فإذا كنت لا تدعو إلى الله، ولا تأمر بالمعروف، ولا تنهى عن المنكر، ولا تُؤدِّي ما أوجب الله عليك لحق أولادك أو لحق زوجتك أو لحق جيرانك، فأنت ناقص الهداية حينئذٍ، يضرُّك ذلك، حتى تؤدِّي الواجب الذي عليك لله ولعباده.

ومن حق الله عليك أن تُؤدي ما أوجب عليك من الطاعات، وأن تترك ما حرَّم الله عليك، ومن حق الله عليك أن تأمر بالمعروف وأن تنهى عن المنكر، وأن تنصح لله ولعباده، وأن تدعو إلى الله على حسب طاقتك، ومن الحق عليك أيضًا أن تؤدي حق زوجتك وأولادك بنصيحتهم وتوجيههم إلى الخير، وتربيتهم التربية الإسلامية، وأن تقوم بحق جيرانك من إكرامهم والإحسان إليهم، وكفِّ الأذى عنهم، وإكرام ضيفك إلى غير هذا من الحقوق، فالذي لا يؤدي الحقوق التي عليه ما يسمى مهتديًا، يُسمَّى ناقص الهداية، ضعيف الإيمان، حتى يؤدي الواجبات التي عليه،

والرسول صلى الله عليه وسلم حذَّرنا من التفريط في تبليغ الدعوة والتقاعُس عنها، وضرب لذلك المثل عبرة وعظة لمن يعتبر ويتعظ."

روى أبو داود بسنده في الحديث الذي ضعَّفه الألباني، وصحَّحه أحمد شاكر، عن عبد الله بن مسعود، قال : ((إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقى الرجل، فيقول: يا هذا، اتَّقِ اللهَ، ودَعْ ما تصنع، فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلمَّا فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ثم قال :﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة: ٧٨] إلى قوله :﴿ فَاسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٨١]، ثم قال: كلا والله لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد الظالم، ولتأطرنه على الحق أطرًا، أو نقصرنه على الحق قصرًا)).

وروى الترمذي بسنده عن حذيفة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((والذي نفسي بيدِه لتأمُرُنَّ بالمعروفِ ولتَنهوُنَّ عن المنكرِ، أو ليُوشِكَنَّ اللَّهُ أن يَبعثَ عليكُم عقابًا منهُ، فتدعونَه فلا يَستجيبُ لكُمْ)).

فهذه الإنذارات المؤكدة بنزول العذاب، وتسلُّط الظالم، وعدم الاستجابة لدعاء الصالحين، وعدم المغفرة لهم، وخِذلانهم جزاء تركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تدلُّ على غضب الله وسخطه على تارك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولقد لعن الله عز وجل في كتابه الحكيم كاتم العلم، فقال عز من قائل :﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٩]، مهما كنت عظيمًا ومبدعًا وصالحًا، فستظل شخصًا عاديًّا مالم تُشارك بقوة في إصلاح العباد ونفع البلاد.

وهنا نطرح سؤالًا :

ماذا إذا نصحت أحدًا ولم يستجب ولم يقبل النصيحة، وكررت النصيحة مرارًا، فهل أيأس وأترك دعوته؟

عليَّ أولًا أن أُراجِع نفسي؛ فقد يكون أسلوبي في دعوتي له غير صحيح، أو لم أختر الزمان أو المكان المناسبين، أو لم آخذ بالأساليب التي وضَعها الله لنا في كتابه؛ لتكون منهجًا لنا في دعوتنا، فإذا وجدتُ أني بذلت جهدي فعلًا، فالحمد لله قد حصلت على الأجر بإذن الله، ومن هم خير مني -من الأنبياء والمرسلين- قُوبِلت دعوتهم بالرفض.

ولكن هل أترك نصحه؟

لقد مكث النبي صلى الله عليه وسلم في مكة ثلاثة عشر عامًا يدعو قومه إلى الإسلام؛ ولكنهم كانوا مُعاندين ورافضين لها، ومع ذلك لم ييأَس، وبعد فتح مكة دخلوا في دين الله أفواجًا، من يرفض الدعوة اليوم قد يستجيب بعد شهر أو سنة فلا تيأَس.

مفهوم الدعوة الإسلامية

الدعوة في اللغة: تكون بمعنى الرغبة إلى الله تعالى، وإمالة الشيء، وهذا لا يكون إلا عن طريق المحاولات القولية والفعلية، كما تأتي بمعنى الابتهال والنداء والطلب.

تعريفها في الاصطلاح:

الدعوة في الاصطلاح لها عدة تعريفات:

١- حث الناس على الخير والهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل.

٢- قيام علماء الدين بتعليم الجمهور من العامة أمورَ دينهم ودنياهم على قدر الطاقة.

٣- نقل الأُمَّة من محيط إلى محيط؛ أي: من محيط الكفر والجهالة إلى محيط الإيمان والعلم.

٤- إنقاذ الناس من ضلالة أو شر واقع، وتحذيرهم من أمر يخشى عليهم الوقوع في بأسه.

٥- برنامج كامل يضمُّ في أطوائه جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس؛ ليبصروا الغاية من محياهم، وليستكشفوا معالم الطريق التي تجمعهم راشدين.

والتعريفات السابقة تشملها الدعوة الإسلامية كلها.

حكم الدعوة إلى الله تعالى

دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، ودعوة المسلمين المنحرفين إلى الرجوع إلى الإسلام، واجب على كل مسلم قادر، رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًّا ورسولًا.

والقرآن الكريم هو كتاب الدعوة ومصدرها، يأمر بتبليغ الدعوة إلى الناس كافة؛ بحكم أن الإسلام دينٌ عالميٌّ جاء للناس عامة، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ [المائدة: ٦٧]، فهذا أمر بتبليغ الدعوة من الله سبحانه وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم، وقال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ [الشورى: ١٥]، وقال تعالى: ﴿ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [القصص: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، والدعوة إلى الخير تعني الدعوة إلى الإسلام، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ [المدثر: ١، ٢]، والإنذار هو تبليغ الدعوة عن طريق الترهيب، كما أن التبشير تبليغ للدعوة بطريق الترغيب، وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف: ١٠٨]، هذه الآيات قاطعة الدلالة على وجوب تبليغ الدعوة.

أما السنة النبوية فقد دلّت فيها أحاديث كثيرة على وجوب تبليغ الدعوة إلى الله تعالى، منها ما ورد في الحديث الصحيح: ((والذي نفسي بيدِه لتأمرنَّ بالمعروفِ،

ولتنهونَّ عن المنكرِ، أو ليوشكنَّ اللهُ أن يبعثَ عليكم عذابًا من عنده، ثم لتدعنه، فلا يُستَجابُ لكُم))، ويقول صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ رأى مِنكُم مُنكَرًا فليُغيِّرهُ بيدِه، فإن لَم يَستَطِع فبلسانِهِ، فإن لم يستَطِعْ فبقَلبِهِ، وذلِكَ أضعَفُ الإيمانِ))؛ رواه مسلم، ليس لك حجة في ترك إنكار المنكر، فتغيير المنكر درجات، فإن لم تستطع تغييره بفعلك، فأنكره بلسانك، فإن لم تستطع فبقلبك، وذلك أضعف الإيمان.

متى يكون تغيير المنكر بالفعل؟ ومتى يكون باللسان؟ ومتى يكون بالقلب؟

إذا كان عندك سلطة وقدرة على تغيير المنكر بيدك فلا بد أن تُغيِّره بيدك؛ كإراقة الخمر، وكسر آلة لهو، والحيلولة بين الضارب والمضروب، ورد المغصوب إلى مالكه، وهنا نتذكَّر حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: ((كلُّكم راعٍ ومسؤول عن رعيَّته، فالإمام راعٍ وهو مسؤول عن رعيَّته، والرجل في أهله راعٍ وهو مسؤول عن رعيَّته، والمرأة في بيت زوجها راعية، وهي مسؤولة عن رعيَّتها، والخادم في مال سيده راعٍ، وهو مسؤول عن رعيَّته، فكلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيَّته))؛ رواه مسلم؛ بل إن النبي صلى الله عليه وسلم قد بيَّن عاقبة الذين يفرطون في هذه الأمانة فقال: ((ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطَّها بنصحه إلا لم يجد رائحة الجنة))؛ رواه مسلم.

فإذا لم أستطع تغيير المنكر بيدي؛ لإمكانية أن يلحقني أذًى؛ لأن الفاعل أقوى مني أنتقل للمرحلة التي تليها، وهي: الإنكار باللسان، فأنصحه، وأذكِّر العاصي بالله، وأخوِّفه من عقابه، بما يناسب طبيعة المعصية وطبيعة صاحبها.

فإن لم أستطع لوجود مانع؛ كخوف فتنة، أو خوف على نفس، أو عضو، أو مال، ((فبقلبه)) ينكره وجوبًا، بأن يكرهه ولا يرضى به، ولا يكفي إنكاره بالقلب؛ بل لا بد مع ذلك العزم على أنه لو قدر على تغييره بفعل أو قول لفعل.

فأفاد الحديث وجوب تغيير المنكر بكل طريق ممكن، فلا يكفي الوعظ لمن يمكنه إزالته بيده، ولا بالقلب لمن يمكنه باللسان.

من الأحاديث أيضًا، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((بلِّغوا عنِّي ولو آية، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليَّ متعمِّدًا فليتبوَّأ مقعده من النار))؛ رواه البخاري.

وقال صلى الله عليه وسلم: ((ليبلِّغ الشاهدُ الغائبَ، فإن الشاهدَ عسى أن يبلِّغ مَن هو أوعى له منه))؛ رواه البخاري.

وقال صلى الله عليه وسلم: ((جاهدوا المشركين بأموالِكم وأنفسِكم وألسنتِكم))؛ رواه أبو داود، والأحاديث كثيرة في الأمر بتبليغ الدعوة؛ لكن هل هي فرض عين؛ أي: واجبة على كل فرد من أفراد الأمة؟ أم هي فرض كفاية، إذا قام بها البعض سقط الإثم عن الباقين؟

يقول الله تعالى آمرًا هذه الأمة بالدعوة إليه سبحانه: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، واختلف أهل التفسير في "منكم" هذه هل هي للتبعيض أم لبيان الجنس، يعني واجب على بعض الأُمَّة ولا كل الأمة.

رجَّح الطبري والقرطبي وابن كثير أنها للتبعيض، قال القرطبي: "ومن في قوله "منكم" للتبعيض، ومعناه أن الآمرين يجب أن يكونوا علماء وليس كل الناس علماء، وقيل:

لبيان الجنس، والمعنى :لتكونوا كلكم كذلك، قلت: القول الأول أصح، فإنه يدل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على الكفاية."

وقد يكون الجمع بين القولين بأن انتصاب طائفة من المسلمين وتفرُّغهم للدعوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية على الأمة، وأن قيام كل فرد بالدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحسب قدرته فرض عين؛ قال الله تعالى :﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢].

أنواع الدعوة

تنقسم الدعوة الإسلامية إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول :

دعوة الأمة الإسلامية جميع الأمم إلى الإسلام، وأن يُشاركوهم فيما هم عليه من الهدى ودين الحق؛ فنعمل على نشر الدعوة الإسلامية بين أهل الكتاب وغيرهم ممن لا دين لهم إلا بعض التقاليد والعادات التي لا تمتُّ إلى الدين بصلة، وهؤلاء هم أغلبية شعوب العالم.

وقد سنَّ النبي صلى الله عليه وسلم هذه السُّنَّة الحسنة، وهي دعوة غير المسلمين إلى الدخول في الإسلام عن طريق مكاتبة الأمراء، وأمرهم أن يبلغوا أممهم.

وهذا مطلوب من الأمة الإسلامية بحكم جعلها أمةً وسَطًا وخير أمَّة أخرجت للناس وشهداء عليهم؛ قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ أي: جعلناكم خيار الأمم؛ لتكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم؛ لأن الجميع معترفون لكم بالفضل، والوسط: هو الخيار والأجود.

وقال عز وجل في حق الأمة الإسلامية: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، فهذا إخبار من

الله تعالى عن هذه الأمة بأنهم خير الأمم، فالواجب دعوة الناس إلى الإسلام، فإن أجابوا فالواجب أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.

فائدة دعوة غير المسلمين:

الدعوة إلى الله تعالى لغير المسلمين تؤدي إلى هدفين أساسيين:

أحدهما : محو الواجهة السيئة التي ألصقها أعداء الإسلام من المبشِّرين والمستشرقين وغيرهم بالمسلمين ورسالتهم.

والآخر: الكشف عن محاسن الإسلام، وكيف أن العالم كله لو أخذ به لوصل بتوفيق الله تعالى إلى برِّ الأمان.

وتكون دعوتهم في البداية ببيان أن دين الله واحد، وهو دين الأنبياء جميعًا، فقد جاء الأنبياء جميعًا بتوحيد الله تعالى.

وقد يكون الأنسب - تبعًا للظروف أو الشخص - البداية ببداية أخرى؛ كبيان محاسن الشريعة الإسلامية وملاءمتها لفطرة الإنسان، وتلبيتها لحاجاته البدنية والعقلية والروحية، فمن محاسن الشريعة أنها حَرَّمت كل ما يضرُّ ببدن الإنسان وعقله، ومن ذلك تحريم الـمُسْكِر لضرره، وتحريم قليله الذي لا يُسْكِر؛ لأنه سبيل إلى تناول كثيره، ولا يمكن لكل الناس التحكُّم في الكمية، والتشريع يكون للجميع، إلى غير ذلك من الحكم المعلومة والمجهولة.

ولكن من الذي يأمر وينهى ويدعو للخير في هذا النوع؟

لقد أوجب الله ذلك على الدُّعاة المتخصصين في الدعوة إلى الله تعالى؛ لأنك تحتاج إلى العلم حتى تستطيع توصيل حقيقة الدين والتشريعات بشكل صحيح، ولتستطيع

الرد على الأسئلة والشبهات وبيان خطئها، ومن القوة في دعوة غير المسلمين اطلاعك على التحريف في كُتُبهم، وبيان أن الإسلام بعيد عن الشُّبْهة التي يتحدَّث عنها، وإنما مذكورة في كتابهم المحرف، أو عقيدتهم الفاسدة، وهذا كله يحتاج إلى متخصصين في الدعوة.

النوع الثاني:

دعوة المسلمين بعضهم بعضًا إلى الخير، وتآمرهم بينهم بالمعروف، وتناهيهم عن المنكر؛ ومعنى هذه الدعوة هو إرجاع المسلمين إلى جوهر الإسلام وتشريعه الحكيم، وتعميق ذلك في نفوسهم، ونفي ما علق بالإسلام من خرافات وأوهام؛ مثل: ما يُسمَّى بضرب الودع، والطيرة، وقراءة الكف، وكتابة الأحجبة والتمائم، والإخبار بالغيب، إلى غير ذلك من هذا السيل الجارف من الخرافات والأوهام التي علقت بهذا الدين الحنيف وهو منها براء.

يقوم بهذا النوع كالذي قبله خواصُّ الأُمَّة العارفون بأمور الدين وأسرار التشريع من العلماء والوعَّاظ والمرشدين في بيوت الله تعالى ودروس العلم، وهم المشار إليهم بقوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢].

وهذه الدعوة تكون ببيان طريق الخير والبر، وتطبيق ذلك على أحوال الناس، وضرب الأمثال المؤثرة في النفوس التي يأخذ كل سامع منها على قدر حاله ومستواه.

النوع الثالث:

الدعوة الجزئية وتكون بين الأفراد بعضهم مع بعض، ويستوي في ذلك الخاصة والعامة بالدلالة على الخير والترغيب فيه، والنهي عن الشر والتحذير منه، كُلٌّ بما يعرفه من أمور الدين، فإذا رأى مسلم أخاه على منكرٍ هو يعلمه، تصدَّى لنُصحه وإرشاده وبيان ما يأمر به الدين الحنيف وما ينهى عنه، عملًا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((من رأى منكم منكرًا فليُغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان))؛ رواه مسلم.

وهذا النوع من الدعوة يستطيع العاميُّ الدعوة من خلاله؛ فيستطيع نقل آية سمِعها، أو حديث عرَفه، أو منشور قرأه وتأكد من صحَّته، كلٌّ حسب مقدرته وما وصل إليه من علم؛ لكن المهم ألا ينقِل إلا ما تأكَّد من صحَّته، وإذا سُئِل عمَّا لا يعرفه، قال: الله أعلم، وهذا لا يعيبه ولا ينقص من قدره في شيء؛ كان ابن عمر يَسأل عن عشر مسائل فيُجيب عن واحدة ويسكُت عن تسع، والإمام مالك سُئِلَ عن ثمانٍ وأربعين مسألة، فقال في اثنتين وثلاثين منها: لا أدري.

وكل ذلك يكون برفقٍ ولينٍ، فذلك من التواصي بالحق والصبر الذي جعله الله عز وجل علامة الإيمان الصحيح، وسببًا للنجاة من الخسران المبين؛ قال تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ *إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ *إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر: ١-٣].

ويمكن أن نقسم الدعوة تقسيمًا آخر إلى قسمين: جماعية وفردية.

الدعوة الجماعية:

وهي أن يقوم الفرد بتأدية واجب الدعوة، أو جانبٍ منه، بصفته فردًا في جماعة تدعو إلى الله تعالى، والأصل في ذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم عند

البخاري: ((طُوبَى لعبدٍ آخذ بعِنَان فرسه في سبيل الله أشعثَ رأسُه، مُغْبَرَّةٍ قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذَن لم يُؤذَن له، وإن شَفَع لم يُشفَّع))، فهذا العبد يُقلِّب نفسَه في مصالح الجهاد، فكل مقام يقوم فيه، إن كان ليلًا أو نهارًا، رغبةً في ثواب الله، وطلبًا لمرضاته، ومحبة لطاعته، ثم يحمد ربَّه تعالى على أن استخدمه ربُّه في طاعته، وجعله جنديًّا من جنوده.

والدعوة الفردية:

وهي دعوة داعٍ لفرد آخر، وتعهُّده حتى يصير على منهج السلف من الصحابة ومن تبعهم في العقيدة، والأخلاق، والعمل، والسلوك.

فالنبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دعا أحدًا، أو أسلم أحدٌ يتعهَّده، أو يأمر بمن يتعهَّده؛ فقد ثبت في السنة المطهَّرة أنه عندما أسلم عمير بن وهب قال صلى الله عليه وسلم لأصحابه : ((فقِّهوا أخاكم في دينه، وأقرئوه القرآن)).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعليّ رضي الله عنه في الصحيحين : ((فوالله لأَنْ يهدي الله بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من حُمْر النَّعَم))؛ فهذا الأجر العظيم المترتِّب على هداية رجل، ليس في كلمة تُقَال وتذهب؛ بل في التعهُّد حتى يصير مهتديًا.

أركان الدعوة

الدعوة عملٌ له أركان، ولا بد من وجود الأركان حتى يوجد العمل، ولا بد من تمامها حتى يتمَّ ويكتمل، وانعدام ركن من هذه الأركان، معناه انعدام العمل، وضعف ركن منها يؤدي إلى ضَعف العمل.

وهذه الأركان هي:

١- الداعي.

٢- المدعو.

٣- المدعو إليه.

٤- الأساليب.

الركن الأول: الداعي

فإذا لم يكن الداعية موجودًا فلن توجد دعوة، ولا أقصد بوجود الداعية وُجُودَه الذاتي الحِسِّي؛ لكن أقصد وجوده كنشاط؛ بمعنى أن يكون الداعية قائمًا بهذا العمل، مهتمًّا به، فقد نجد في مكان واحد أكثر من فرد مُلتزم، ولكن لا تأثيرَ لهم، ولا أثر لوجودهم؛ لأنهم لا يتحرَّكون ولا يعملون.

والداعية إلى الله عز وجل كما أنه خطيب يخطب بالناس، فيلهب مشاعرهم؛ فهو يؤمن بفكرة، يدعو إليها بالكتابة، وبالخطابة، والحديث العادي، والمحاضرة، والقدوة، يؤثر في الناس بعمله وشخصيته، حياته كلها من أجل دعوته.

نبي الله نوح عليه السلام دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا ليلًا ونهارًا، لم ييأس، ولم يتواكل؛ وما النتيجة؟ ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴾ [نوح: ٥، ٦] لا تهُمُّ النتيجة، ولكن المهم أن يبْذُل ما عليه.

يوسف عليه السلام في جميع أحواله التي تقلب فيها منذ أن كان في بيت العزيز، وما حصل في بيت العزيز، إلى أن مكَّنه الله جل وعلا، وقدم عليه أبوه وأمُّه وإخوانه، وخرُّوا له سُجَّدًا، كان في هذه المقامات جميعًا داعيًا إلى الله جل وعلا، حتى وهو في السجن يسأله صاحباه في السجن عن تفسير رؤياهما، فيدعوهم إلى الله قبل تفسير الرؤيا؛ لأن الدعوة جزء منه.

كابد الرسول صلى الله عليه وسلم في سبيل دعوته، ومع ذلك لم ييأس، واستمرَّ في دعوته حتى مكَّن الله له، وهكذا كان حال الأنبياء جميعًا.

وقال شجاع بن الوليد ": كنت أخرج مع سفيان الثوري، فما يكاد لسانه يفتر عن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ذاهبًا وراجعًا."

وقال إبراهيم بن الأشعث: "كنا إذا خرجنا مع الفضيل في جنازة لا يزال يعظ ويُذكِّر ويبكي حتى لكأنه يودِّع أصحابه ذاهب إلى الآخرة."

فالداعية طبيب اجتماعي يعالج أمراض النفوس، ويصلح أوضاع المجتمع الفاسدة، فهو ناقد بصير، يشعر بأن دعوته حية في أعصابه، متوهِّجة في ضميره، ينَفذ كلامه إلى قلوب الجماهير، فيُحرِّك عواطفهم إلى ما يريد من أمر دعوته.

صفات الدعاة

الداعي إلى الله تعالى الذي يتصدَّى للدعوة، ويحمل لواء الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، له صفات يجب أن يتحلَّى بها؛ ليكون نموذجًا عمليًّا لدعوته وقدوةً حسنةً لمن يتصدَّى لدعوتهم، وهذه الصفات هي:

١- قوة الصلة بالله.

٢- قوة الصلة بالناس.

٣- سعة الأفق.

٤- المعرفة بالمدعوين.

٥- الحلم والعفو.

٦- مطابقة القول الفعل.

٧- الاستقامة.

٨- التواضع.

٩- الشجاعة والثبات على الحق.

١٠- الإخلاص.

١١- الصبر.

١٢- العناية بالمظهر.

◆ ◆ ◆

١- قوة الصلة بالله:

على الداعي أن يكون قوي الصلة بالله تعالى، دائم الخوف منه، يراقبه في كل صغيرة وكبيرة، متصلًا به ليلَ نهارَ، يعبده كأنه يراه، شعاره تقوى الله، والبُعْد عن كل حرام ومكروه، واجتناب الشبهات، فيترك الحلال أحيانًا مخافة أن يقع في الحرام.

إذا تهاون الناس في أمر دينهم وسَمَّوا الحرام بغير مُسمَّاه؛ نجده ما زال ثابتًا على الدين وقيمه ومبادئه، أمور كثيرة قد تكون بسيطةً في أعين الناس هي عند الله عظيمة؛ كالرشوة باسم الإكرامية، والانصراف من العمل قبل مواعيده الرسمية أو الحضور بعدها، أو أن يثبت حضور مَنْ لم يأتِ للعمل، أو استخدام أدوات العمل في أعمال شخصية، وغيرها كثير من مُحرَّمات انتشرت بين الناس، وأوجدوا لها مُبرِّرات أو سمَّوها بغير مسمياتها، فيتجنَّب ما يغضب الله حتى لو شاع بين الناس، فرِضا الله عنده هو الأساس، لا يُزعزع صلته بالله إحساسه بالغربة ولا كلام الناس.

وإذا كان الإيمان العميق ضروريًّا لكل مسلم، فهو للداعي أشدُّ ضرورة، ومع اعتماد الداعي على الله في كل أموره، فإنه يثق في ربّه ثقةً كاملةً بأنه يحفظه وينصره، ويدفع الشرور عنه؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [الحج: ٣٨]، وقال: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [الصافات: ١٧١- ١٧٣]، وما دام الداعي ينصر

الله، أي: ينصر دينه بالدعوة إليه، فإن الله تعالى ناصره، يقول تعالى: ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠]، فعلى الداعي أن يتيقَّن ذلك، ولا يشك فيه أبدًا.

والداعي لا ييئس أبدًا، لأن اليأس حرامٌ أن يتسرَّب إلى القلوب الموصولة بالله، وإنما يدخل قلوب الكافرين المنقطعة صلتهم بالله، قال عز من قائل: ﴿ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧].

وعلى الداعية أن يتفكَّر في خَلق الله تعالى، ويتأمَّل ويتدبَّر في آيات الله المبثوثة في نفسه وفي الكون، والقرآن الكريم عندما يلفت أنظار الداعية إلى هذه الآيات المنتشرة في الكون يدعوه لعقيدة التوحيد الخالص.

وهذا الإيمان الراسخ من الداعية يؤدي حتمًا إلى التوكُّل الدائم على الله والاستسلام له بلا تردُّد، لأنه ما دام قد ثبت في نفسه ثُبوتًا جازمًا أنه لا فاعل إلا الله، واعتقد فيه تمام الاعتقاد والعلم والقدرة على كفاية العباد، ثم تمام العناية والرحمة بجملة العباد وآحادهم، فإنه مُتَّكِل لا محالة على الله، لأن الله معه في كل آنٍ وحالٍ، فيتوكَّل على الله ويعتمد عليه في كل أموره، ويكون على يقين وثقة أن الله معه، فلا يخاف من أحد سواه، ولا يعتمد على أحد إلا إيَّاه.

وهكذا كان النبي صلى الله عليه وسلم كلما مرَرْنا بسيرته رأينا صدق اعتماده وتوكُّله على الله، وعظيم تضرُّعه والتجائه إلى مولاه، نتذكَّر موقفه وهو في طريق عودته من الطائف بعدما آذوه صلى الله عليه وسلم، ورموه بالحجارة، لمن لجأ؟ ولمن بثَّ شكواه؟ لجأ النبي صلى الله عليه وسلم إلى الله عز وجل، وناداه في تضرُّع وخشوع: ((اللهم إليك أشكو ضعف قوَّتي، وقلَّة حيلتي، وهواني على الناس، أنت ربُّ المستضعفين

وأنت ربي، إلى مَنْ تكِلُني؟ إلى بعيد يتجهَّمني أم إلى عدوٍّ ملَّكْته أمري؟ إن لم يكن بك عليَّ غضب فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي...))، فينزاح الهمُّ والكرب، ويزول الحزن.

فعلى الداعية- بل وكل مسلم- اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى، وأن يعلقوا به القلوب، وأن يخلصوا له التوجُّه والقصد، وأن يفرغوا قلوبهم وأنفسهم من كل اعتماد أو توكُّل على غيره.

٢- قوة الصلة بالناس:

كما وثق الداعي صلته بالله تعالى، فعليه أن يوثق صلته بالناس؛ لأن دعوته إنما تكون معهم، ويرتفع شأنها ويعلو ذكرها بهم؛ فيترفَّق بهم ويحنو عليهم، فهو ابنٌ للكبير وأخٌ للصغير، يعاملهم معاملة حسنة، لا يرتفع عليهم بعلمه ومكانته، ولا يفرق بين سيِّدهم وخادمهم، ولا بين قويِّهم وضعيفهم، ولا بين غنيِّهم وفقيرهم، ولا بين كبيرهم وصغيرهم؛ بل الكل عنده سواء، لا فرق بينهم إلَّا بالتقوى.

وهذا الفهم عند الداعي يجعله لا يفرق بين إنسان ودعوته بسبب الحسب أو النسب، فلا يقتصر في دعوته على الأغنياء تاركًا الفقراء، أو يدعو الأقوياء ويترك الضعفاء؛ بل لا بد أن تشمل دعوته الجميع؛ لأنها دعوة عامة جاءت من أجل الجميع، وهو مكلف من قبل الله تعالى بنشرها بين الناس.

ولقد أعطى الله سبحانه وتعالى للدعاة درسًا عمليًّا في هذا الباب بما حدث من النبي صلى الله عليه وسلم مع عبدالله بن أُمِّ مكتوم في سورة عبس؛ فرغم أن عبدالله كان أعمى مما جعله لا يتحقَّق من عمل النبي صلى الله عليه وسلم في مجلسه، فدخل عليه طالبًا التعليم، في الوقت الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم مشغولًا فيه بتعليم غيره

من صناديد قريش، وكونه أعمى يعطيه العذر في عدم تقدير الوقت المناسب للسؤال، وسبق القرشيين في الحضور يعطي النبي صلى الله عليه وسلم عذرًا في إمهال عبدالله؛ لأنه أسلم من قبل، والقرشيُّون لم يسلموا بعد، وفي إسلامهم إسلام غيرهم، ورغم ذلك فقد عُوتِب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الموقف؛ حتى لا يُقال إنه أهمل عبدالله لفقره وعَماه، واهتمَّ بغيره لجاهه وغناه، وحتى لا يبقى هذا القول بعد ذلك بداية يهتمُّ فيها الدعاة بالأشياء الظاهرة، ويفرقون بين الخلق وبعضهم بما ليس لهم به سبب؛ فقال تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى * أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى * وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ﴾ [عبس: ١- ١٠].

وهذا يعطينا دليلًا على أن الإسلام يحرص دائمًا على كرامة الإنسان مطلقًا مهما كان وضعه الاجتماعي.

٣- سعة الأفق:

للداعية دور مهم في مجتمعه، فعليه المناصحة والإرشاد، وهذا أمر يحتاج إلى جهد شديد، وبذل متواصل في التفصيل العلمي والبحث الموضوعي، فكيف يدعو إلى دين الله وهو لا يملك المعلومات التي تؤهِّله للدعوة؟ يحتاج أن يقرأ، وأن يتعلَّم، وأن يتزوَّد بالمعلومات في كل المجالات: تفسير وحديث وعقيدة وفقه وسيرة وغيرها، فالأفق الواسع يمكِّن الداعية من أداء مهمته؛ لأنه يُقدِّم له ملكة الفهم والحكم والقدرة على مواجهة كافة الاحتمالات بسبب العلوم التي أحاط بها وعلمها.

ودليل الداعية إلى ذلك كله هو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فيجب على الداعية أن يحفظ من القرآن ما استطاع، ويحسن تلاوته، وأن يواظب على

قراءة القرآن مع تدبُّر معانيه ومعرفة أحكامه، وأن يرجع إلى السنة النبوية الصحيحة، كما عليه أن يدرس سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرة الخلفاء الراشدين والسلف الصالح والتابعين.

فكيف يدعو إلى الله وليس عنده ورد من القرآن ينهل منه؟! ولا يحفظ شيئًا من القرآن، ولو الآيات التي يستشهد بها في دعوته ولا يحفظ شيئًا من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم؟

حفظ الداعية للقرآن الكريم ودراسته للسنة النبوية وسيرة السلف الصالح تجعل عنده المقدرة على التبليغ والإرشاد؛ ولذلك كان الرسول صلى الله عليه وسلم يختبر الدُّعاة إلى الله عن مدى تمسُّكهم وتفهُّمهم وإحاطتهم بالقرآن الكريم؛ فعندما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يبعث معاذًا إلى اليمن قال: ((كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟))، قال: أقضي بكتاب الله، قال: ((فإن لم تجد في كتاب الله؟))، قال: فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: ((فإن لم تجد في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟))، قال: أجتهد رأيي ولا آلو، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره، وقال: الحمد لله الذي وفَّقَ رسولَ رسولِ الله لما يُرضي رسولَ الله.

إن السيرة النبوية هي أكبر مدرسة دينية عملية يمكن أن نتعلَّم منها، إنها تطبيق عملي بمعنى الكلمة لأحكام القرآن، أليست أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عندما سُئلت عن خُلُق النبي صلى الله عليه وسلم قالت: "كان خُلُقُه القرآن."

في السيرة نجد كل ما يخطر على بالنا، إذا أردت أن تعرف كيف تكون الحياة الزوجية الصحيحة، فستجدها في علاقة النبي صلى الله عليه وسلم بزوجاته، سنجد في السيرة الطريقة الصحيحة لتربية أبنائنا، وفي السيرة نعرف كيف نتعامل مع العصاة،

كيف تتناقش وكيف تتعامل وتبيع وتشتري، كل ما تودُّ الحديث عنه، ستجده في السيرة تطبيقًا عمليًّا واضحًا.

٤- المعرفة بالمدعوين :

مما يعين على النجاح الكبير للداعية في مجال الدعوة معرفة حال مَنْ تُوجَّه لهم الدعوة، من حيث نفسيَّاتهم وأخلاقهم، وعوائدهم، وتاريخهم، وموقعهم، ومللهم، وحضارتهم، ولغتهم، فيخاطبهم بما يُحقِّق الغرض، ويصل به إلى المطلوب من أيسر الطرق.

ومعرفة المدعوين تحتاج إلى دراسة العلوم التالية كما يقول الدكتور عبدالقادر سيد عبدالرؤوف:

علم التاريخ :ليعرف الفساد في العقائد والأخلاق والعادات، فيعرف كيف تنهض الحجة، ويبلغ الكلام غايته من التأثير، وكيف يمكن نقل هؤلاء المدعوين من حال إلى حال؛ ولهذا كان القرآن الحكيم مملوءًا بعِبرِ التاريخ من قصص السابقين.

علم الأخلاق :الذي يبحث عن الفضائل النفسية وكيفية تربية المرء عليها، وهو لازم لرجال الدين وللدعاة ألزم؛ كي يستطيعوا معالجة النفوس وتهذيبها.

معرفة الملل والنحل ومذاهب الأمم فيها :ليتيسَّر للداعي بيان ما فيها من الباطل، فإن لم يتبيَّن له بطلان ما هو عليه لا يلتفت إلى الحق الذي عليه غيره، وإن دعاه إليه، ومن لم يقف على ما عند الناس من المذاهب والتقاليد الدينية لا يستطيع أن يخاطبهم على قدر عقولهم.

علم النفس :ليكون الداعية على معرفة بهوى النفس وميولها واتِّجاهاتها ومدى تأثيرها في المجتمع، وهو مهم؛ لأنه يُمكِّن الداعية من توجيه خطابه إلى النفس بما يثيرها ويُناسبها.

علم الاجتماع:الذي يبحث فيه عن أحوال الأمم في بداوتها وحضارتها، وأسباب ضعفها وقوَّتها وتأخيرها وتقدُّمها.

العلم بلغات الأمم المراد دعوتها إلى الإسلام :فعلى الداعية إلى الله تعالى أن يكون عارفًا بلغة القوم الذين يدعوهم إلى الإسلام، ((ومن تعلَّم لغة قوم أمن شرَّهم))، وذلك يُعطيه القدرة على مخاطبة أي قوم بلغتهم، وله في رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسوة والقدوة، فقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر زيد بن ثابت بإجادة السريانية، قال زيد: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أتحسن السريانية؟ إنها تأتيني كتب بها))، قال قلت: لا، قال: ((تعلَّمها))، فتعلَّمتها في سبعة عشر يومًا.

قد يقول قائل: هذه العلوم للمتخصصين؛ وإنما نحن مبتدئون!

إن تطبيق هذه العلوم على أرض الواقع ممكن وبكل بساطة؛ فمعرفة ميول وثقافة وتفكير وطبيعة من تدعوه مهم جدًّا.

يختلف حديثك إذا كنت تتكلم مع ملتزم وتريد نصحه أو تذكيره، عن حديثك مع مَنْ لا يعرف شيئًا عن الدين؛ فالملتزم قد يسمع الآية أو الحديث فتؤثر فيه أشدَّ التأثير.

يختلف حديثك مع المتبرِّجة عن حديثك مع من حجابها غير صحيح، وعن حديثك عمَّن كانت ترتدي الحجاب ثم فُتنت وتركته، ويختلف حديثك مع الصغير عن الكبير، وعن المتعلم مع غير المتعلم، وهكذا في كل الأمور.

مثال: قد يواجه الداعية من بلغ من الغفلة ألَّا تُحركه الآيات والأحاديث، أو من يُقدِّم العقل على النصوص؛ يريد أن تقنعه بالعقل، إذا قرؤوا أو سمِعوا موعظة تعتمد على ذكر الآيات أو الأحاديث فقط فلن يلتفتوا إليها، فكيف نتعامل مع أمثال هؤلاء؟

بما أن الاسلام دين الفطرة السوية فعلى الداعية أن يخاطب عقولهم، وأن يُقَبِّح الفعل الذي يصدر منهم، ويُحرِّك الفطرة السوية بداخلهم، وإذا كان يحثُّهم على عمل صالح، فعليه أن يستفزَّ ما بداخلهم من خير بطيب الكلام، فإذا نجحت في شدِّ انتباههم يمكنك عندها الاستشهاد بالآيات والأحاديث.

أيضًا لا بد أن ينتبه الداعية أن النفس تكره الهجوم والشدة في القول، فإذا هاجمت العاصي، وأغلظت له في القول فلن تقبل نفسه الكلام، وقد يأخذه الكبر حتى لو اقتنع بكلامك، فالكلمة الطيبة لها تأثير السحر في النفوس.

هناك بعض المسائل الحساسة التي يُثير طرحها الخلاف- كحكم تهنئة النصارى بأعيادهم- وعندها لا بد أن يكون الداعية حريصًا على عدم إثارة من يخاطبهم؛ لكي يتقبَّلوا الحديث، فهناك من تشرَّبوا فتاوى جواز التهنئة، ومنهم من يرى أن التهنئة أو الاحتفال من وسائل البر والإحسان، ويعترض بشدَّة على تحريم الاحتفال أو التهنئة، ولا يقبل فيها نقاش ولا دليل، فهؤلاء يحتاجون إلى حوار العقل المصحوب بالأدلة وأقوال السلف، يحتاجون إلى تشكيكهم في صحة فكرتهم

ورأيهم، وإذا كانت قناعتهم تستند إلى رأي مرجوح، أذكر الرأيين وأُفنِّدهما بالعقل، والأهمُّ بأسلوب ليس فيه هجوم حتى يتقبَّلُوا الحديث.

أغلب الناس تحب المواعظ الخفيفة واليسيرة، فالدروس أو الخطب أو المقالات والمنشورات الطويلة لا يقرؤونها، إلا لو كان الأسلوب مشوقًا ممتعًا يجذبهم ولا يشعرهم بالملل، قالت أمُّ المؤمنين عائشة لأحد الواعظين في مكة: "يا عبيد بن عمير إذا وعظت فأوجز، فإن كثير الكلام يُنسي بعضُه بعضًا."

٥- الحلم والعفو:

الحلم والعفو من أهم الصفات التي يجب أن يتحلَّى بها الداعية؛ لأن الناس كثيرًا ما يصدر منهم ما يغضب النفوس، ويثُير القلوب، فإذا لم يكن متحلّيًا بالحلم والعفو صدر عنه ما ينفر الناس منه، فلا يجتمع عليه أحد، ولا يستطيع النجاح في مهمته؛ ولهذا مدح الرسول صلى الله عليه وسلم أشجَّ عبد القيس لما فيه من الحلم والأناة، فقال :((**إنَّ فيكَ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهما اللهُ: الحِلْمُ والأناةُ**))؛ رواه أبو داود.

والداعي إلى الله يتعرَّض لطبقات مختلفة من الناس، منهم الخلوق المهذَّب، ومنهم الشرس العنيد، وبالحلم والعفو يستطيع الداعية أن يُفسح صدره للجميع، ويعامل كل واحد منهم بالقدر الذي ينفعه ويستفيد منه، فالداعية في مجتمعه بمثابة الطبيب الذي يعالج أمراضهم، ويصف لهم العلاج الناجح كل حسب مرضه، وهو الأب الحنون الذي يحنو عليهم، ويتحمَّل أذاهم، ويعفو عن إساءتهم.

وليكن قدوته في ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم الذي خاطبه ربُّه بقوله :﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقد أمرنا الله

سبحانه وتعالى بالعفو، فقال عز وجل :﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

لقد بلغ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم غاية الحِلْم والعفو، والسُّنَّة النَّبويَّة حافلة بمواقف الرَّسول الكريم في الحِلْم، ومِن ذلك قصَّة الأعرابي الذي جبذ (يعني جذب أو شد) النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم بردائه جَبْذَةً شديدةً؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعليه بردٌ نجرانيٌّ غليظ الحاشية، فأدركه أعرابيٌّ، فجبذه بردائه جبْذَةً شديدةً، حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثَّرت بها حاشية البُرْد مِن شدَّة جَبْذَته، ثمَّ قال: يا محمَّد، مُرْ لي مِن مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثمَّ ضحك، ثم أمر له بعطاء"؛ رواه البخاري.

بالله عليكم يا أحبابنا، لو كانت هذه المعاني مستحضرة في واقعنا وواقع تعامُلنا مع عباد الله عز وجل، كيف سيكون حال دعوتنا؟ كيف لو استحضر المُعَلِّم هذا المعنى مع طُلَّابه وروَّاد درسه؟ وكيف لو استحضرت المعلمة ذلك مع طالباتها؟ وكيف لو تأمَّل الداعية والمربِّي والشيخ والعالم في هذا الموقف من النبي صلى الله عليه وسلم، وتمثَّله أصحاب الرسالات والدعوات في حياتهم، كيف سيكون حال الناس؟

٦- مطابقة القول للعمل:

نجاح الداعي في دعوته مرتبط بموافقة قوله عمله، وعمله قوله؛ فالإسلام علم وعمل، والداعي إلى الله لا ينبغي له أن يكون فعله مُكَذِّبًا لقوله؛ بل ما يعظ به يحرص على

تحقيقه في نفسه وفي بيته، فالقدوة العملية تصيب من قلوب الناس أكثر مما تصيب الكلمة مهما كان تأثيرها.

وأكبر مثال عملي على تأثير العمل والتطبيق على قبول الناس للقول ما حدث بعد صلح الحديبية حين أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه بالحلق والنحر.

فعن المسور بن مخرمة رضي الله عنه، قال :فلما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: ((قوموا فانحروا، ثم احلقوا))، قال: فوالله، ما قام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أُمِّ سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أُمُّ سلمة: يا نبي الله، أتحبُّ ذلك؟ اخرج ثم لا تكلِّم أحدًا منهم كلمةً حتى تنحر بدنك، وتدعوَ حالقَك فيحلقك، فخرج فلم يكلِّم أحدًا منهم حتى فعل ذلك؛ نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضًا حتى كاد بعضهم يقتل بعضًا غمًّا"؛ رواه البخاري.

٧- الاستقامة:

الاستقامة في الإسلام منهج متكامل جمع بين العقيدة والشريعة والدين والدنيا، إنها تعني المسيرة الحازمة المقيمة على نهج واضح ويقين ثابت، وهي من ألزم صفات الداعي.

إن الاستقامة تعني الإيمان الكامل بالله وحده والإذعان التام لمشيئته، والاحتكام في كل صغيرة وكبيرة إلى دينه، والتطبيق لشريعته والعيش وَفْق ما يأمر به وينهى عنه؛ ولهذا قال عز وجل في سورة الأحقاف :﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ

اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ *أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأحقاف: ١٣، ١٤].

وقد حثَّ الرسول صلى الله عليه وسلم على الاستقامة، فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن سفيان بن عبدالله الثقفي قال :قلت يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا بعدك، قال :((قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ)).

قال العلماء: الاستقامة هي لزوم طاعة الله عز وجل، وهي نظام الأمور، لا تنتظم الأمور إلا بالاستقامة، والاستقامة كما عرفها بعض السلف: هي لزوم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالاستقامة إذًا هي الدين كله، ((قُلْ: آمَنْتُ بِاَللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ)).

إن الاستقامة تشمل العقيدة، والعبادات، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، والسلوك، وكل شيء في حياتنا، بحيث نكون فيه بين الإفراط والتفريط، وبين التقصير والغلوّ.

٨- التواضع:

على الداعي أن يكون متواضعًا من غير مذلَّةٍ، أبِيًّا من غير تكبُّر، فالتواضع للناس من أعظم الوسائل التي ينشر بها دعوته بينهم، يجعل الداعية محبوبًا من مجتمعه؛ فيستمع إليه الناس ويتأثرون به، ويقتدون بفعله.

والتواضع هو خفض الجناح والتودُّد للمؤمنين؛ قال تعالى :﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٥]، والتواضُع يجب أن يكون مع الناس جميعًا؛ الأبيض والأسود، الغني والفقير، القوي والضعيف، لا فرق في ذلك بين

أحد من الناس؛ قال صلى الله عليه وسلم: ((ما نقصتْ صدقةٌ من مالٍ، وما زاد اللهُ عبدًا بعفوٍ إلَّا عزًّا، وما تواضعَ أحدٌ للهِ إلَّا رفعه اللهُ))؛ رواه مسلم.

ومن التواضُع عدم الافتخار بالآباء والأجداد، وعدم البغي والاعتداء؛ ولهذا يقول صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ اللهَ أوحى إليَّ أن تواضَعوا حتى لا يبغيَ أحدٌ على أحدٍ، ولا يفخرَ أحدٌ على أحدٍ))؛ رواه أبو داود.

٩- الشجاعة والثبات على الحق:

من صفات الداعية الشجاعة والثبات على الحق وعدم الخوف إلا من الله عز وجل، فلا يخاف في الله لومة لائم، وهذا بدوره يؤدي إلى نشر دعوته بين الناس؛ لأن المجتمع إذا رأى داعيته شجاعًا جريئًا ثابتًا على الحق، فإنهم يلتفتون حوله، ويُؤيِّدون دعوته، وبذلك يستطيع بشجاعته وثباته على الحق أن ينشر دعوته بين الناس.

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال" :بايعْنا رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ على السَّمْعِ والطاعةِ، في العُسْرِ واليُسْرِ، والمَنْشطِ والمَكرهِ، وعلى أَثَرةٍ علينا، وعلى ألَّا ننازعَ الأمرَ أهلَه، وعلى أن نقولَ بالحقِّ أينما كنَّا، لا نخافُ في اللهِ لومةَ لائمٍ"؛ رواه مسلم.

وجاء في الترغيب والترهيب عن أبي سعيد الخُدْري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا يحقِرنَّ أحدُكم نفسَه))، قالوا: يا رسولَ اللهِ، وكيف يحقِرُ أحدُنا نفسَه؟ قال: ((يرَى أنَّ عليه مقالًا، ثمَّ لا يقولُ فيه، فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ يومَ القيامةِ: ما منعك أن تقولَ كذا وكذا، فيقولُ: خشيةَ النَّاسِ، فيقولُ :فإيَّاي كنتَ أحقَّ أن تخشَى))؛ والحديث ضعَّفَه الألباني في السلسلة الضعيفة.

وجاء في الصحيح عن أبي ذرٍّ الغفاري رضي الله عنه قال: ((أوصاني خليلي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بخِصالٍ من الخيرِ، أوصاني ألَّا أخافَ في اللهِ لومة لائمٍ، وأوصاني أن أقولَ الحقَّ وإن كان مُرًّا)).

فعلى الداعي ألَّا يُداهن ولا يمالئ أصحاب البدع، ولا يظهر الموافقة على ضلال؛ لأنه قدوة للناس في كل ما يقول ويفعل.

١٠- الإخلاص:

الإخلاص أساسٌ لنجاح الداعية، فالعمل بلا إخلاص، كالجسم الذي لا رُوح فيه، أما ما كان من القلب، فإنه ينفذ إلى القلوب، ولذلك قال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [البينة: ٥]، وقال عز وجل: ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ [الزمر: ٣].

وحقيقة الإخلاص أن يعمل الإنسان العمل لا يريد به إلا وجه الله عز وجل، فلا ينتظر من أحد جزاءً أو شكورًا على هذا العمل، فإن الداعي يكون مقبول النصيحة إذا كان خاليًا من الأغراض الدنيوية، أما إذا كان عمله لشيء من هذه الأغراض، فلا أثر لقوله في قلوب الناس؛ بل عليه أن يعمل لوجه الله تعالى، وطلبًا لمرضاته وحسن مثوبته، ولا يرى لنفسه مِنَّة على من يرشدهم.

ومن قام بالدعوة إلى الله تعالى لشهوة من الشهوات النفسية، فذلك حظه من عمله، وكان عند الله مذمومًا، قال تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴾ [الشورى: ٢٠].

والإخلاص في الدعوة وللدعوة من أقوى الأسباب لالتفاف الناس حول الداعية، من يؤمن بفكرة ويحاول إيصالها للناس بكل جوارحه، تشعُر أن حديثه من القلب، فيصل كلامه لقلوب الناس.

١١- الصبر:

الداعي إلى الله يحتاج إلى الصبر؛ لأنه الزاد والمؤونة على تحمُّل المشاقِّ في سبيل الدعوة، والصبر هو الطريق الذي رسمه الله سبحانه وتعالى للدُّعاة إليه على تحمُّل الصعاب والعقبات التي تقف أمام دعوتهم؛ قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٣]، وخاطب الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٣٥]. فلا بد للداعية من أن يضع هذه الحقيقة نصب عينيه حتى يكون مستعدًّا لكل ما يطرأ عليه أثناء تبليغ دعوته إلى الناس، وأنبياء الله عليهم السلام لاقوا من أقوامهم اضطهادًا كثيرًا، ومع ذلك صبروا على هذا الأذى والاضطهاد؛ فسيدنا نوح عليه السلام تحمَّل أذى قومه وسخريتهم منه وهو يصنع السفينة، واستهزاءهم به، ووصفهم له بالجنون؛ قال تعالى في سورة القمر: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ * فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴾ [القمر: ٩، ١٠]، فيستجيب له عز وجل ﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴾ [الصافات: ٧٥، ٧٦].

وسيدنا إبراهيم عليه السلام ألقي في النار بسبب دعوته، فخاطب اللهُ عز وجل النارَ قائلًا: ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

وسيدنا موسى عليه السلام أوذي إيذاءً شديدًا في سبيل الدعوة إلى الله تعالى، وقال في حقّه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [الأحزاب: ٦٩]، وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إمام الدعاة تحمَّلَ من الأذى في سبيل دعوته ما لا يتحمَّله أحد، ومع ذلك أوصاه الله بالصبر؛ فقال: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وفي وصية لقمان لابنه درسٌ للدُّعاة على مرِّ العصور والأزمان أن يتجملوا بالصبر لما يصيبهم؛ قال تعالى: ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧]؛ فإقامة الصلاة إعدادٌ للنفس وتعويدٌ لها على طاعة الله تعالى، والإنسان عندما يدعو الناس إلى الخير يتصدَّى له أهل الشر، ويناله منهم الأذى والاضطهاد؛ ولذلك أمره أن يتحمَّل ويتجمَّل بالصبر في سبيل دعوته إلى الخير ونهيه عن الشرِّ، وهكذا نجد أن الصبر على الأذى سلاحٌ قويٌّ يستعين به الدُّعاة إلى الله تعالى، فيصلون إلى ما يريدون، وقد وعدهم الله على صبرهم أجرًا عظيمًا؛ فقال عز من قائل: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠].

١٢- العناية بمظهره:

إن عناية الداعية بمظهره الخارجي ولباسه ونظافته أمرٌ مهمٌّ؛ حيث إنها تقوم بدورٍ مهمٍّ في جذب الناس نحوه والتفافهم حوله وتأثيره فيهم، والإسلام أمرنا بهذا حيث قال: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ [الأعراف: ٣١]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، والإسلام أباح للمسلم أن يظهر في ملبسه وهندامه أمام المجتمع بمظهر لائق كريم، والداعي إلى الله تعالى أولى بذلك؛ لأنه قدوة لمجتمعه، ومن عناية الإسلام بالمظهر أمر المسلم

بالنظافة؛ لأنها الأساس لكل زينة حسنة، مظهر الداعية مهم؛ ليعرف الناس أن التدين والالتزام لا يُنافي اهتمام الإنسان بمظهره، النبي صلى الله عليه وسلم لما حدَّث الصحابة عن الكبر، قالوا: يا رسول الله، إن الرجل يحب أن يكون نعله حسناً، وثوبه حسناً، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ))؛ رواه مسلم، أي: يحب التجمُّل، ولم ينكر عليهم أن يحبوا أن تكون ثيابهم حسنة، ونعالهم حسنة، بل قال: ((إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ))، أي: يحب التجمُّل.

أما معنى حديث: ((إن البذاذة من الإيمان))، كما يقول الشيخ ابن عثيمين: "أن يكون الإنسان غير متكلِّف بأشياء، وإذا كان لا يتكلَّف الأشياء، بل تأتي بأصولها إنه يحمل هذا النص على النصِّ الذي أشرتُ إليه آنفًا، وهو أن التجمُّل من الأشياء المحبوبة إلى الله عز وجل؛ لكن بشرط ألَّا يكون ذلك إسرافًا، أو لا يكون ذلك نزولًا إلى المستوى الذي لا ينبغي أن يكون عليه الرجل."

والسؤال الذي يطرح نفسه بناء على الصفات السابقة؛ ما هي الأسباب التي تجعل بعض الدُّعاة المشهورين مؤثرين في فئة معينة من الناس- وهم المتديِّنون- ولا يصلون بسهولة لغيرهم من الشباب؟ وفي المقابل لماذا نجد غيرهم يصل للشباب بسهولة، ويؤثر فيهم تأثيرًا كبيرًا، رغم أن البعض منهم ليس لديه العلم الكافي أو المنهج الصحيح؟

قد تكون الأسباب عدم مقدرة بعض الدعاء على أن يكونوا قريبين من تفكير الشاب؛ فالشباب يحبُّون من يكون قريبًا منهم في التفكير وحتى في الملابس، من يتكلم اللغة السهلة البسيطة؟ من يختار مواضيع تمسُّ مشاكل وحياة الشباب؟ يحبون من يخاطب عقولهم فيقنعهم، ويُحرِّك عواطفهم، ويؤثر فيهم الحماسة في العرض.

وإن كان التوازن بين الترغيب والترهيب في الدعوة مطلوبًا؛ لكن الإكثار من اتِّباع أسلوب الترهيب والتخويف من العذاب المترتِّب على المعاصي، وكثرة الحديث عن عذاب القبر وأهوال يوم القيامة، وعذاب النار عند البعض قد يجعل بعض الشباب يبعد عن الاستماع للداعية، فهم يحتاجون إلى من يبثُّ الأمل في نفوسهم، يخبرهم أن السعادة التي ينشدونها ولا يجدونها في حياتهم موجودة في طاعة الله، يحدثهم عن الجنة ونعيمها، وعن عفو الله وحلمه، عن قبوله لتوبة التائب، وكرمه ولطفه بعباده.

كما أن الابتسامة والاحتواء عند وقوع الزلل من أهم الأسباب لقبول كلام الداعية ونصحه؛ فكل إنسان في هذه الدنيا- مهما قوي إيمانه- معرَّضٌ لفترات ضعف قد يتمكَّن الشيطان فيها منه، البعض يستطيع أن يثبت أمام هجمات الشيطان ووسوسته ويستعيذ بالله منه، والبعض- للأسف -يقع فريسةً سهلةً ويستسلم بسهولة دون مقاومة، ثم بعد أن يسقط تأتي هجمات الانتقادات الشرسة من كل من حوله بكلمات قاسية، فنكون عونًا للشيطان عليه في وقت هو أحوج فيه إلى أن نشدَّ أزره؛ ليقاوم هجمات الشيطان؛ فنذكره بالله وبحلاوة الإيمان التي عاشها، نعرف أسباب ضعفه التي جعلته يرجع القهقرى، ونوجد الحل لها، نأخذ بيديه ونخبره أن الوقت ما زال أمامه ليتراجع عن خطئه، ويعود إلى الصراط المستقيم.

من منَّا بلا معاصٍ؟! هناك من يضعف أمام معصية معينة أو كبيرة، يشعُر بالذنب والألم كلما عملها، ويتمنَّى التوبة ولكنه ضعيف أمامها، ومع ذلك فهو يحبُّ الله ورسوله، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنَّ رجلًا كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان اسمه عبدالله، وكان يُلقَّب حمارًا، وكان يُضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد جلده في الشراب، فأُتي به يومًا، فأمر

به فجُلِد، فقال رجل من القوم: اللهم الْعَنْه، ما أكثر ما يؤتَى به! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا تلعنوه، فوالله ما علمتُ أنه يحب الله ورسوله))؛ رواه البخاري.
أرأيتم كيف أقام رسول صلى الله عليه وسلم عليه الحدَّ، ثم يدافع عنه، ويقول إنه يحب الله ورسوله؟!

ومن أهم أسباب قبول الدعوة: حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يسِّروا ولا تُعسِّروا، وبَشِّروا ولا تُنفِّروا))؛ متفق عليه. فالناس سَتُقبل على من يُيسِّر لهم الحكم -بشرط أن يكون حُكمًا فقهيًّا صحيحًا له دليله المعتبر- فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنه، قالت: "ما خُيِّرَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بين أمرينْ قطُّ إلا أخذَ أيْسرَهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعدَ الناسِ منه"؛ رواه البخاري.

إذًا نجد أن الدعاة الشباب هذه الأيام لهم تأثير أكبر في هذا الجيل؛ لأن همومهم مشتركة، ويستطيعون وضع أيديهم على ما يهمُّ الشباب من مواضيع ومشاكل معاصرة، ويخاطبون الشباب بلغتهم التي يفهمونها، وأسلوبهم وطريقة حديثهم يدخل القلب مباشرة لبساطته وسلاسة ألفاظه، ثم الحماس الذي يتمتَّع به الداعية الشابُّ ينتقل لمن يشاهده أو يسمعه، وتقديم حلول وخطوات عملية قابلة للتنفيذ على أرض الواقع.

وباختصار يستطيعون إيصال المعلومة بطريقة شرعية مع الدليل، وبأبسط السُّبُل والإمكانات، وطبعًا وسائل التواصل ساعدت في ذلك كثيرًا.

الركن الثاني: المدعو

الركن الثاني من أركان الدعوة المدعو : وهو كل إنسان مخاطب بالإسلام ومطالب بقبوله والإذعان له، وهو كل إنسان مكلف (العاقل البالغ) في أي مكان على وجه الأرض، من ذكر أو أنثى أو حر أو عبد؛ لعموم رسالة الإسلام إلى جميع البشرية {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} ، {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا}[سبأ:٢٨].. وقوله صلى الله عليه وسلم: [وبعثت إلى الناس كافة].

ولذلك لابد من مراعاة حالات المدعو؛ فما يصلح لأحدهم لا يصلح لغيره ، فعندما تدعو كافرا إلى الله لا تبدأ دعوته بالأمر بالصلاة، فهذا لم يؤمن برب البرية بعد، ولكن لابد أن تكلمه عن الإيمان، بأن هناك إله واحد لا ينبغي أن تصرف العبادة إلا له، وعندما يتحقق شرط التوحيد تبدأ في أن تعرض عليه الإسلام فإذا أسلم تعرض عليه تعاليم الإسلام وتفهمه ما هي الأوامر الملكف بها وما هي الأوامر المنهي عنها، روى مسلم عن ابن عباس أن معاذا قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فادعُهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افْتَرَضَ عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ

من أغنيائهم فترد في فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب.

وعلى الداعية أن يأتي إلى المدعو ويدعى ويبلغ رسالة الله، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي مجالس قريش ويذهب إلى منازل القبائل في موسم الحج يعرض عليهم الإسلام ويقول من يؤويني حتى أبلغ رسالة ربي. وكان لا يسمع بقدوم أحد إلى مكة له اسم وشرف إلا دعاه وعرض عليه ما عنده، ولم يكتف بذلك بل خرج إلى الطائف ، ودعا أشراف ثقيف وحدث له ما حدث.

ولا تقتصر الدعوة على غير المسلمين، فقد يكون المسلمين بحاجة إلى الدعوة والتذكير؛ لأن المسلم قد يخطئ ويحتاج إلى التنبيه والتوجيه؛ ولأن العصمة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولمن عصمه الله من عباده المخلصين؛ ولهذا، لما رأى سعد رضي الله عنه أن له فضلًا على من دونه، وجهه النبي صلى الله عليه وسلم وأرشده بقوله: (هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلا بِضُعَفَائِكُمْ؟)، رواه البخاري.

وفي دعوة المؤمنين يحتاج الداعية أن يحرك الإيمان في قلوبهم، ثم يخوفهم من عقاب الله الذي أعده للعصاة والمتمردين.

وعلى الداعي أن ينظر إلى أهل المعاصي نظرة تعقل لأسباب سقوطهم في هذه المعاصي؛ فإذا عرف أسباب وقوعهم في المعصية فسيساعده ذلك في انتشالهم منها،

وينظر إليهم نظرة شفقة لتخليصهم من هذه الهاوية، وأن الداعي الواعي لتحقيق هذه الغاية النبيلة لا يحتقرهم افتخارًا بنفسه عليهم بطاعته على معاصيهم، ولا يُعيِّرهم علنًا، ولا يشمت بهم؛ بل يتخذ الوسائل اللازمة بحكمة ويقظة لهدايتهم وإصلاحهم، وجعلهم أعضاء صالحين في المجتمع الإسلامي المثالي الذي يعمل لإيجاده؛ لأن احتقارهم وتشنيعهم علنًا سوف يؤدي إلى تقوية جرثومة المعصية، والاستهانة بالداعي، وإلحاق الأذى به.

وينبغي للداعي أن يتذكر دائمًا ما جاء في الحديث الشريف عن المسلم العاصي: (كلُّ بني آدمَ خطَّاءٌ ، وخيرُ الخطَّائينَ التَّوَّابونَ)، وأن المسلم غير معصوم من المعصية، وأن الأنبياء والرسل هم المعصومون من الخطايا.

وموقف الداعي من العصاة أن يذكرهم بالله عز وجل، ثم يخوفهم من العقاب الذي أعده للعصاة والمذنبين، ويرغبهم في الثواب العظيم الذي أعده للتائبين؛ فيصف لهم النار وعذابها، والجنة ونعيمها، ومن هنا يرجعون إلى الحق والهدى، ويعودون إلى الصراط المستقيم.

ومن الممكن تقسيم العصاة إلى:

١- من عنده نقص في الإيمان، وجهل بالأحكام:

فهذا نصبر على جهله، وندعوه ونُعَلمه بالرفق واللين، ونرشده إلى الأحسن بلطف، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلممع الأعرابي الذي بال في المسجد.

٢- من عنده نقص في الإيمان، وعلم بالأحكام:

فهذا يدعى إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وتُضرب له الأمثال الحسية والدلائل العقلية، ويدعى له بزيادة الإيمان، ليستقيم على طاعة الله ورسوله.

٣- من عنده قوة في الإيمان، وجهل بالأحكام:

فهذا يدعى مباشرة ببيان الحكم الشرعي، وبيان خطر اقتراف المعاصي، وإرشاده لإزالة المنكر الذي وقع فيه.

٤- من عنده قوة في الإيمان، وعلم بالأحكام:

فهذا ليس له عذر، فينكر عليه بقوة، ويعامل معاملة أشد مما سبق؛ لئلا يكون قدوة لغيره في المعصية

الركن الثالث: المدعو إليه

المدعو إليه: هو دين الإسلام بكل جوانبه؛ من عقائد، وتشريع، وأخلاق، ومعاملات.

أولًا: العقيدة:

والعقيدة هي :الجانب النظري الذي يطلب الإيمان به أولًا وقبل كل شيء، إيمانًا لا يرقى إليه شكٌّ، ولا تُؤثِّر فيه شُبْهَةٌ، ومن المهم التركيز على تصحيح العقائد؛ لأنها الأساس، خصوصًا مع انتشار البِدَع بين الناس - خصوصًا في الأرياف - ولكثرة

الشُّبهات التي يُثيرها النصارى والملحدون، أو تلك التي تَدُور في أذهان الناس نتيجة الفتن الموجودة بكثرة حولنا.

ولا ننسى تعليم المسلم عقيدته من الإيمان بالله وبالرُّسُل، والإيمان بالكتب المنزَّلة، والملائكة واليوم الآخر، والقَدَر خيرَه وشرَّه، والإجابة عن الأسئلة الفطرية عند كثيرٍ من الناس، ما العالم؟ ما الإنسان؟ ومن أين جاء؟ كيف ينتهي؟ وما الحياة؟ وما الموت؟ هل يوجد شيء بعد هذه الحياة العابرة؟ وما علاقتها بهذا الموجود؟ كل هذا يحتاج الناس إلى معرفته حاجة شديدة.

ومن أصعب الأمور التي تُواجِه الداعية إقناع الناس بمعنى البدعة؛ لأنهم يعتقدون أنهم يفعلون ذلك تقرُّبًا إلى الله تعالى، فيحتاجون إلى اللِّيْن والهدوء ومخاطبة العقل برِفْقٍ.

ثانيًا: الشريعة:

والشريعة هي: النظم التي شرعها الله أو شرع أصولها، ليأخذ الإنسان بها نفسه في علاقته بربِّه، وعلاقته بأخيه المسلم، وعلاقته بأخيه الإنسان، وعلاقته بالكون وعلاقته بالحياة، فالشريعة هي الجانب العملي الذي يرسم الحدود، ويقيم المعالم، ويُنظِّم كل علاقات الإنسان.

١- علاقة المسلم بربِّه:

فيشرع له العبادات التي تصله به، وتجعله يعيش حياته مستشعرًا رقابته عليه، والعبادات على مختلف أنواعها يعود نَفْعُها على المكلَّف، ولا يعود هذا النَّفْع على الله تعالى؛ لأنه عز وجل غنيٌّ عن العالمين، لا تنفعه طاعةُ الطائعين، ولا تضُرُّه معصية العاصِين.

٢- علاقة المسلم بأخيه المسلم:

فالإسلام يضع النُّظُم الاجتماعية التي تُبْنى عليها الأسرة، وتُحدَّد فيها الحقوق والواجبات بين أفرادها، ويضع التشريعات الاجتماعية التي تجعل الفرد عضوًا نافعًا في أسرة كبيرة ولبنة في بناء شامخ يقوم بدوره الفَعَّال حسب موقعه فيه، ولكل ذلك وضع الإسلام القوانين والأحكام، سواء كانت نظامية أو اقتصاديةً أو تربويةً أو خُلُقيةً؛ لتنظيم حياة البشر فيما بينهم.

٣- علاقة المسلم بغير المسلم:

فالإسلام ينظم علاقة المسلم بمن يُخالفه في الدين، ويضع تلك الحدود والقواعد، كما يُنظِّم علاقة الدولة المسلمة بغيرها من الدول التي تُخالفها في الدين؛ سواء في السلم أو الحرب.

٤- علاقة المسلم بالكون من حوله:

فالإسلام أباح للمسلم حرية البحث والنظر في الكائنات، واستخدام آثارها فيما يعود بالنفع والخير عليه وعلى الإنسانية، كما أن الإسلام وجَّه نَظَرَ المسلم إلى أن هذا الكون إنما خُلِقَ من أجله، وعليه أن يكتشف قوانينه وأسْرارَه، وينتفع بها في حياته.

٥- علاقة المسلم بالحياة:

فالإسلام رسم للمسلم الطريق السَّويَّ، وأباح له التمتُّع بطيباتها، ونهاه عن خبائثها، كل هذه الأمور جوانب يمكننا الحديث عنها، وتناولها في الدعوة.

ثالثًا: الأخلاق:

وما أدراك ما الأخلاق؟! فإصلاحُ الباطن أساسٌ لكل إصلاح ظاهري، ولا بقاء لإصلاح خارجي إلَّا إذا تركَّز، وكان نتيجة، وأثرًا للإصلاح الباطني، والأخلاق هي الكفيلة بإصلاح الباطن، وهي الشجرة الطيبة التي ثبت أصلُها، وبسق فَرْعُها، وطاب ثمرُها، وآتت أكلها كل حين بإذن ربِّها، إن على الداعية أن يزرع الأخلاق في كل مكان، وبكل شكل ووسيلة ممكنة وأولها القدوة.

الركن الرابع: الأساليب (منهج الدعوة)

منهج الدعوة إلى الله عز وجل يرتكز على أمور ثلاثة: الحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، وهذا ما أوضحه وبيَّنه القرآن الكريم، فقد قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥].

الأسلوب الأول: الحكمة

يُراد بالحكمة في باب الدعوة، أن يكون الداعية فاهمًا لقصده، عارفًا بأفضل الطرق المؤدية إلى الغرض على خير وجه، وأن يكون عالمًا بقواعد الدعوة بالنسبة إلى كل نمط وطائفة من طوائف المدعوين.

فالحكمة: هي وضع الشيء في موضعه، والحكمة تقتضي أن يكون الداعية مدركًا لما حوله، مُقدِّرًا الظروف التي يدعو فيها، مُراعيًا لحاجات الناس ومشاعرهم؛ حتى يتمكَّن من الوصول إلى قلوبهم.

فالحكمة تجعل الداعي ينظر ببصيرة المؤمن؛ فيرى حاجة الناس فيعالجها بحسب ما تقتضيه الظروف، والحكمة إذا أُسنِدَتْ إلى الله تعالى فيكون معناها: معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، وإذا أُسْنِدَتْ للإنسان فيكون معناها: معرفة الموجودات وفعل الخيرات، وتُطلَق الحِكْمَة على معانٍ عِدَّة؛ منها:

١- الحِكْمَة بمعنى القرآن والسُّنَّة، وبيان الشَّرائع:

قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٩].

قال ابن القيِّم: "الحِكْمَة في كتاب الله نوعان: مفردة، ومقترنة بالكتاب، فالمفردة فُسِّرَتْ بالنُّبُوَّة، وفُسِّرت بعلم القرآن"، وقال ابن عباس: "هي علم القرآن ناسخه ومنسوخه، ومُحْكَمه ومُتَشابهه، ومقدَّمه ومؤخَّره، وحلاله وحرامه، وأمثاله"، وقال الضَّحاك: "هي القرآن والفهم فيه"، وقال مجاهد: "هي القرآن، والعلم والفِقْه"، وفي رواية أخرى عنه: "هي الإصابة في القول والفعل"، وقال النَّخعي: "هي معاني الأشياء وفهمها"، وقال الحسن: "الورع في دين الله، كأنَّه فسَّرها بثمرتها ومقتضاها."

٢- الحِكْمَة بمعنى النُّبُوَّة:

وقد ورد ذلك لدى بعض من فسروا قوله تعالى: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴾ [ص: ٢٠].

٣- الحِكمَة بمعنى الفِقْه:

قال تعالى :﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

٤- الحِكمَة بمعنى الفَهْم والإصابة وحُجَّة العقل وفقًا للشَّريعة:

قال تعالى :﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [لقمان: ١٢].

٥- الحِكْمَة بمعنى العِظَة:

قال تعالى :﴿ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴾ [القمر: ٥]، والحكمة وإن تعددت معانيها، فهي لا تخرج عن معنى العلم وفعل الصواب؛ وذلك لأن كمال الإنسان في شيئين: أن يعرف الخير لذاته، والخير لأجل العمل به، فالأول يرجع إلى العلم، والثاني إلى فعل العدل والصواب.

واشتهرت الأمة العربية في جاهليتها وإسلامها بسرد الحكم والبيان لها، ومن العرب الذين عرفوا بالحكمة في الجاهلية: قس بن ساعدة، وابن رافع الدوسي، وأكثم بن صيفي.

وفي الإسلام: المصطفى صلى الله عليه وسلم، وعلي بن أبي طالب، والحسن البصري، وغيرهم.

إن الدعوة حكمة أكثر من أن تكون قوة أو فصاحة أو مهارة، وفي حياة الرسول صلى الله عليه وسلم أمثلة كثيرة تُبيِّن لنا مدى حكمته صلوات الله وسلامه عليه في تبليغ الدعوة؛ ورد في مسند الإمام أحمد: "عن أبي أُمامة أن فتى من قريش أتى

النبي صلى الله عليه وسلم، فقال :يا رسول الله، ائذن لي في الزنا، فأقبل القوم عليه وزجروه، فقالوا: مَه، مَه، فقال: ((اُدْنه))، فدنا منه قريبًا، فقال: ((أتحبه لأُمِّك؟))، قال :لا والله، جعلني الله فداك، قال: ((ولا الناس يحبونه لأُمهاتهم))، قال)) :أفتحبه لابنتك؟))، قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك، قال :))ولا الناس يحبونه لبناتهم؟))، قال: ((أفتحبه لأختك؟))، قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك، قال: ((ولا الناس يحبونه لأخواَتهم))، قال :))أتحبه لعمَّتك؟))، قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك، قال)) :ولا الناس يحبونه لعمَّاتهم))، قال: ((أتحبه لخالتك؟))، قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك، قال: ((ولا الناس يحبونه لخالاتهم))، قال :فوضع يده عليه، وقال: ((اللهمَّ اغفِر ذنبه، وطهِّر قلبه، وحصِّن فرْجَه((، قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء"؛ رواه أحمد، والطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح. وفي هذا الموقف نجد الحوار العقلي، والرفق بالمدعو، وتأنيسه وألفته، والدعاء له، والمواقف التي تجلَّى فيها حكمة النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة.

ومنها كيفية تصفية القضية التي حدثت بين رجل وصاحبه، وقد أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو من جاره؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: "جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَشْكُو جَارَهُ، فَقَالَ: ((اذْهَبْ فَاصْبِرْ))، فَأَتَاهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَقَالَ: ((اذْهَبْ فَاطْرَحْ مَتَاعَكَ فِي الطَّرِيقِ))، فَطَرَحَ مَتَاعَهُ فِي الطَّرِيقِ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ فَيُخْبِرُهُمْ خَبَرَهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَلْعَنُونَهُ :فَعَلَ اللَّهُ بِهِ، وَفَعَلَ، وَفَعَلَ، فَجَاءَ إِلَيْهِ جَارُهُ فَقَالَ لَهُ: ارْجِعْ لَا تَرَى مِنِّي شَيْئًا تَكْرَهُهُ"؛ رواه أبو داود.

وتدخل الحكمة في كل جوانب الدعوة؛ مثل:

- الحكمة في اختيار الموضوع.
- الحكمة في خطاب المدعوين.
- الحكمة في مخاطبة العقل.
- الحكمة في صيغة الكلام.
- الحكمة في اختيار الوقت المناسب.
- الحكمة في اغتنام الفرص.
- الحكمة في تحديد الهدف.
- الحكمة في تحديد المراحل.
- الحكمة في التخطيط.
- الحكمة في الاستعداد للدعوة.
- الحكمة في إنكار المنكر بحيث لا يترتب عليه منكر أعظم.
- الحكمة في الدعوة للمعروف بالمعروف.
- الحكمة في الرفق بالمدعو وخصوصًا الجاهل.
- الحكمة في التلميح لا التصريح أحيانًا.
- الحكمة في الثناء على المدعوين، وربط الثناء بالتوجيه الدعوي.
- الحكمة في مراعاة المصالح والمفاسد، فدرء المفاسد مُقدَّم على جلب المصالح.

الأسلوب الثاني: الموعظة الحسنة

الوعظ لغة :النصح بالترغيب، أو الترهيب، أو بهما معًا؛ ليلين قلب الإنسان.

وفي الاصطلاح :القول الحق الذي يلين القلوب، ويؤثر في النفوس، ويكبح جماح النفوس المتمردة، ويزيد النفوس المهذبة إيمانًا وهداية.

والموعظة الحسنة مظهر من مظاهر الحكمة، وجزء منها، ولها شروط لا بد منها، وهي:

١- أن تكون صادرة عن إخلاص.

٢- أن يكون لها مقتضى يقتضيها من حال المدعو؛ لا أن تكون مجرد حب للقول، وتظاهر بالفصاحة والحكمة دون داع.

٣- أن يصاحبها إقناع المدعو بأنها صادرة عن روح الإخاء، وحب الخير له قبل كل شيء.

٤- إذا كانت الدعوة خاصة بفرد أو أفراد معينين، فيحسُن أن تكون بعيدة عن التشهير والتجريح الذي يُثير الشر أكثر مما ينشر من الخير.

٥- أن تكون القدوة بالداعي أحد عناصرها، فإن العظة بالقدوة من أنجح أساليب الوعظ.

ومن هنا فالموعظة الحسنة هي الكلمة الطيبة، التي تخرج من فم الداعية بإخلاص لتصل إلى عقول الناس، فيجدون فيها الخير والسعادة، ويحسون من خلال كلمته أنه صادق وحريص على جلب الخير لهم، ودفع الشر عنهم.

متى تكون الموعظة مؤثرة:

حتى تكون الموعظة الحسنة مؤثرة في نفس المدعوين لا بد أن يكون فيها ما يلي:

١- أن تكون ذا موضوع؛ فتتحدث عن أمر معين، ويكون لها هدف يريد أن يصل الداعية إليه من خلالها.

٢- أن يدعمها الواعظ بالحجة النقلية من القرآن والسنة، والحجة العقلية التي يقتنع بها السامع مع التلطُّف في القول، والرفق في المعاملة.

٣- العلم بالكتاب والسنة النبوية وسيرة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم والسلف الصالح، وبالقدر الكافي من الأحكام الشرعية، ثم العمل بذلك كله، فرُبَّ حالٍ أبلغ في التأثير من ألف مقال.

٤- أن يتجمَّل الواعظ بالعِفَّة واليأس مما في أيدي الناس.

٥- أن يعالج الواعظ بالموعظة واقعًا يعيش فيه الناس، وأن يجعل منها توجيهًا يُصلح شأنهم جميعًا.

٦- أن يحسن الواعظ عرض موعظته، بأن يُقسِّمها إلى أجزاء متصلة، ثم يصوغها بأسلوب جميل سهل.

٧- أن يتخلَّق الواعظ بما يقول مظهرًا ومخبرًا، فبمقدار إخلاصه في القول والعمل ينتفع سامعوه.

٨- أن يهتم بحسن مظهره.

٩- أن يكون الواعظ مُلِمًّا بثروة كلامية يختار منها أفضل الأساليب التي يمتلك بها قلوب السامعين من جمال التصوير، وطرافة المعنى، وحداثة الموضوعات، مع ضرورة الإجادة في الإلقاء.

١٠- أن يعلم الواعظ أحوال الناس من حيث الطباع والتاريخ والأخلاق، مع الإلمام بقدر المستطاع ببعض الدراسات في علم النفس وعلم الاجتماع والتعرُّف على لغة القوم؛ قال عز وجل: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [إبراهيم: ٤].

١١- أن يكون ذا فراسة، يتعرف حال سامعيه، ويعاملهم بما يناسبهم ويؤثر فيهم.

ومع ما للوعظ والإرشاد من فائدة عظيمة، وأثر طيب ظاهر في تهذيب النفوس وسعادة البشرية؛ لكن أنكره جماعة من المتشائمين، وقالوا عن الوعظ: إنه عبث؛ لأن الأخلاق مبنية على غرائز لا تتحوَّل، وطِباع لا تتبدَّل! وقال بعض الفلاسفة عن الوعظ والإرشاد: إنه لا قيمة له؛ حيث إن الناس يولدون أخيارًا أو أشرارًا، وأن الحسن والقبيح شيء طبيعي في الإنسان، وأن الشعور بالمسؤولية ليس إلا نوعًا من الخداع.

فهل كلامهم صحيح؟ بالطبع غير صحيح؛ وللرد على هذه الآراء:

لو نظرنا نظرة فاحصة لهذه الآراء السابقة، لوجدنا أنها لا تقوم على أساس، وباطلة في دعواها ومنقوضة بالشرع والعقل والتجربة والملاحظة:

أما الشرع: فإن الله عز وجل يقول: ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد: ١٠]؛ أي: عرفناه طريق الخير والشر، ويقول تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان: ٣]؛ أي: بيَّنَّاه له، ووضَّحناه، وبصَّرناه به، ويقول عز من قائل: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ [الشمس: ٧]، قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ [الشمس: ٨]؛ أي: بيَّن لها طريق الخير والشر.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما من مولود إلَّا يولَدُ على الفطرةِ، فأبواهُ يُهَوِّدانِهِ وينصِّرانِهِ ويمجِّسانِهِ، كما تُنتَجُ البَهيمةُ بَهيمةً جَمْعاءَ، هل تُحسُّونَ فيها من جدعاءَ؟))؛ رواه مسلم. [وجمعاء؛ يعني: سالمة من العيوب، وجدعاء: مقطوعة الأذن]

أما من ناحية العقل :فإن الله تبارك وتعالى أنزل الكتب، وأرسل الرسل من أجل إصلاح الإنسان وسعادته في الدنيا والآخرة، ورسالة الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم كانت وعظًا وإرشادًا وتوجيهًا إلى طريق الهداية، كانوا بالوعظ ينبهون القلوب من غفلتها، ويضيئون النفوس بضياء الحق، ويبعدونها عن الرذائل، ويبصرون أتباعهم بما ينفعهم من أمور دينهم ودنياهم.

فالإنسان خُلِق مستعدًّا للخير والشر، فإن تيسَّرت له التربية الصالحة والبيئة الصالحة نشأ على الإيمان الخالص والأخلاق الفاضلة، وحب الخير والفضيلة، وأما إذا كان العكس، فلم تتيسَّر له التربية الصالحة والبيئة الصالحة، فإنه ينشأ على الكفر والأخلاق المنحلَّة وحب الشرِّ والرذيلة.

ومن هنا فالوعظ والإرشاد له أثر كبير في هداية النفس الإنسانية، والأخذ بها إلى الصراط المستقيم، وصيانة القلوب من المخاطر، وتهذيب النفوس، واستنارة البصائر بنور الطاعة.

أما من ناحية التجربة والملاحظة: من الملاحظ في عالم الإنسان أن إنسانًا ما عاش طويلًا في بيئة الضلال والفساد، وبلغ فيه الإجرام والشقاء كل مبلغ، وقد أذاق المجتمع من وبال شروره وآثامه، وإذا برفيق صالح، أو مُربٍّ مؤثِّر، وداعية مخلص،

نقله من الشقاء إلى السعادة، ومن بيئة الإجرام إلى عالم الكرام البررة، فيصبح بعد هذا الشقاء الطويل من كبار الأتقياء.

والدليل على ذلك ما رواه أبو سَعِيد الْخُدْرِيِّ، قَالَ: لا أُحَدِّثُكُمْ إلا مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ، وَوَعَاهُ قَلْبِي ((إِنَّ عَبْدًا قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، ثُمَّ عَرَضَتْ لَهُ التَّوْبَةُ، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنِّي قَدْ قَتَلْتُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: بَعْدَ قَتْلِ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ! قَالَ: فَانْتَضَى سَيْفَهُ، فَقَتَلَهُ بِهِ، فَأَكْمَلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ عَرَضَتْ لَهُ التَّوْبَةُ، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنِّي قَدْ قَتَلْتُ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ، اخْرُجْ مِنَ الْقَرْيَةِ الْخَبِيثَةِ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا إِلَى الْقَرْيَةِ الصَّالِحَةِ، قَرْيَةِ كَذَا وَكَذَا فَاعْبُدْ رَبَّكَ فِيهَا، قَالَ: فَخَرَجَ يُرِيدُ الْقَرْيَةَ الصَّالِحَةَ، فَعَرَضَ لَهُ أَجَلُهُ فِي الطَّرِيقِ، قَالَ :فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلائِكَةُ الْعَذَابِ، قَالَ: فَقَالَ إِبْلِيسُ: أَنَا أَوْلَى بِهِ، إِنَّهُ لَمْ يَعْصِنِي سَاعَةً قَطُّ، قَالَ: فَقَالَتْ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ: إِنَّهُ خَرَجَ تَائِبًا))؛ رواه مسلم.

فالرجل عاش في بيئة كلها فساد، وإذا بهذا الواعظ يأخذ بيده من هذا الوباء الذي يعيش فيه، وينقله إلى بيئة العبادة والتقوى، وما ذلك إلا بالموعظة الحسنة التي قدمها له، وعرَّفَه بأن أرضه أرض سوء وفساد، فلا يرجع إليها مرة أخرى.

ولننظر إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه كيف كان قبل الإسلام؟! وكيف أصبح بعده؟! وما كان هذا إلا بعظة عابرة غير مقصودة وقعت في قلبه، فحوَّلته من الشدة إلى الرقة والرأفة والعطف.

وإذا نظرنا إلى عالم الحيوان نجد أن الإنسان بخبرته غيَّرَ كثيرًا من طباع الحيوانات من النفور إلى الأُلفة، ومن الصعوبة إلى الانقياد، ومن الاعوجاج إلى الاعتدال، فما بالك بالإنسان وهو أسلس قيادة وأعظم مرونة؟

روى مسلمٌ عن معاوية بن الحكم السلمي قال :بينما أنا أصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ عطس رجلٌ من القوم فقلت :يرحمك الله - وهو في الصلاة - قال: فرماني القوم بأبصارهم - جعل المصلون ينظرون إليه بطرف عيونهم - فقلت: وا ثكلَ أمِّياه! ما شأنكم تنظرون إليَّ - وهو في الصلاة - قال: فجعلوا يضربون أيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني لكني سكتت - يعني: عجبتُ لماذا يصمتونني؟! هل هناك مشكلة في الصلاة؟ - فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - أنهى صلاته - فبأبي وأمي ما رأيت معلمًا قبله، ولا بعده أحسن تعليمًا منه، فوالله ما نهرني، ولا ضربني، ولا شتمني؛ لكنه قال: ((إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ)).

وجاء في كتاب (العقد الفريد) قال رجل للرشيد: يا أمير المؤمنين، إني أريد أن أنصحك بعظة فيها الغلظة فاحتملها - احتمل النصيحة؛ لأنني سأشدد عليك - فقال له الرشيد: كلًا، لا تنصحني، إن الله أمر من هو خيرٌ منك بإلانة القول لمن هو شرٌّ مني، فقال لنبيه موسى عليه السلام إذ أرسله إلى فرعون :﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ [طه: ٤٤].

فهل عرفت لماذا نجحت النصيحة الأولى، ولم تنجح الثانية؟ لماذا آتت النصيحة الأولى أُكلها، ولم تؤتِ النصيحة الثانية أُكلها؟

الأسلوب الثالث: الجدال بالتي هي أحسن

الجدال يعني :المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وأصله من جدلت الحبل؛ أي: أحكمت فتله، وقيل: الأصل في الجدال الصراع، وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة؛ وهي الأرض الصلبة، أما في الشرع فقد استُعمِل في مقابلة الأدلة لظهور أرجحها.

وردت مادة الجدال في القرآن الكريم كثيرًا، لأهميتها، ومن ذلك قوله تعالى :﴿ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ [البقرة: ١٩٧]، ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا ﴾ [هود: ٣٢]، ﴿ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

والجدال بالتي هي أحسن أسلوبٌ له قيمته في نجاح الدعوة إلى الله تعالى؛ فليس أسرع إلى القلوب وأحب إلى النفوس من قول يهدي إلى الحق والخير، وذلك بالمسالمة والحسنى، أما السفسطة ومحاولة الغلبة عن طريق الخشونة والطعن، فهذا أسلوب مرفوض يؤدي إلى نتيجة عكسية، ويُنفر المستمع من الكلام حتى لو كان حقًّا؛ ومن أجل ذلك أمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم أن يجادل بالتي هي أحسن، وأن يستعمل الرفق واللين وحسن الخطاب في دعوته.

والجدال بالتي هي أحسن يمثل الطريقة العملية المثلى للوصول إلى القلوب، فلو لاحظنا الطرق الجدلية المعتمدة على التماس نقاط الضعف عند المخالف، وتوجيه الضربات المتلاحقة مستغلين نقاط الضعف، وإثارة أعصابه بالأساليب العنيفة المنافية لاحترام ذاته وفكره، لوجدنا أنها غير مفيدة؛ لأنها تهاجم كبرياء الإنسان وكرامته في الصميم، وتجعله يعاند ويرفض الاستماع للكلام ولو كان حقًّا؛ ولذلك لا بد أن تُشعر المخاطب أنك وهو رفيقان في رحلة الوصول إلى الحق، ومن هنا فليست

هناك طريقة تأخذ بيدي هذا الإنسان الحائر إلى شاطئ النجاة سوى طريقة الجدال بالتي هي أحسن كما بيَّن ذلك القرآن الكريم.

وهذا الاستعمال قد يكون محمودًا، وقد يكون مذمومًا، فالجدال المحمود يكون بإظهار الحق والوقوف عليه، والجدال المذموم يراد منه المراوغة والمكابرة والمعاندة.

وإنما نصَّ القرآن الكريم على أن يكون الجدال مع خصوم الدعوة بالتي هي أحسن؛ لأن الجدال في أصل استعماله اللغوي يتضمن معنى شدة الخصومة؛ لأن كل طرف يسعى إلى إظهار خطأ ما عند الآخر بكل ما يستطيع، وهذا قد يؤدي إلى شيء من التقبيح بحق وبغير حق؛ بغية الانتصار في الجدل، فإذا أدَّى الأمر إلى شيء من ذلك لم يكن جدالًا حسنًا، كما أنه لا يليق بالدعوة الإسلامية؛ لأنها حق في حد ذاتها ووسائلها ومنهجها، لا تخرج عنه إلى باطل أبدًا، ولأن ما فيها من الحق يُغنيها عن ذلك.

آداب الجدال بالتي هي أحسن:

ينبغي للمتناظرين أن يلتزما الآداب الآتية:

١- أن يكون الكلام غير طويل ولا مختصر.

٢- أن يتجنبا الألفاظ الغريبة والمجملة.

٣- أن يكون كلامهما ملائمًا للموضوع.

٤- ألَّا يقلل أحدهما من شأن صاحبه.

٥- أن يقصد كل منهما ظهور الصواب.

٦- ألَّا يتعرض أحدهما لكلام صاحبه قبل أن يفهم غرضه منه.

٧- أن ينتظر كل منهما صاحبه حتى يفرغ من كلامه.

٨- التسليم بالقضايا التي هي من المسلمات والمتفق عليها عند الطرفين، وقبول النتائج التي توصل إليها الأدلة القاطعة والأدلة الراجحة.

ورحم الله الإمام الشافعي حينما قال: "ما ناظرت أحدًا قطُّ فأحببت أن يُخطئ، وما كلمت أحدًا قطُّ وأنا أبالي أن يبين الله الحق على لساني أو على لسانه، وما أردت الحق والحجة على أحد فقبلها مني إلا هبته، وانعقدت محبَّتُه، ولا كابرني أحد على الحق ودفع الحجة، إلَّا سقط من عيني ورفضته، وما كلمتُ أحدًا قطُّ، إلا أحببْتُ أن يوفق ويسدد، ويُعان ويكون عليه رعاية من الله وحفظ."

نماذج من المجادلة بالتي هي أحسن:

عرض القرآن الكريم نماذج من الدعوة إلى الله تعالى بالجدال بالتي هي أحسن في صورة رائعة، يستفيد منها دُعاةُ عصرنا في حياتهم، ومن يأتي بعدهم إلى قيام الساعة، وفي مقدمتها مجادلة أبي الأنبياء لأبيه آزر في سورة مريم: ﴿ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا *يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا *يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا *يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾ [مريم: ٤٢ - ٤٥].

لقد استهلَّ إبراهيم عليه السلام كلامه عند كل نصيحة بقوله: "يا أبت" توسُّلًا إليه واستعطافًا لقلبه، مع استعمال الأدب الجم، وهذا كلام يُحرِّك قلوب السامعين.

وتروي لنا كتب السيرة مواقفَ متعددةً لمجادلة الرسول صلى الله عليه وسلم مع الكفار والنصارى ودعوتهم إلى الإسلام، وكيف أن الكثير منهم كان يعتنق الإسلام بعد هذه المجادلة؛ يحدثنا أبو عبيدة بن حذيفة عن قصة إسلام عدي بن حاتم، فيقول: "كنت أسأل عن حديث عدي بن حاتم وهو إلى جنبي لا آتيه، فأسأله، فأتيته فسألته فقال: بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث بعث، فكرهته أكثر ما كرهتُ شيئًا قطُّ، فانطلقتُ حتى كنت في أقصى الأرض مما يلي الروم، فقلت: لو أتيت هذا الرجل، فإن كان كاذبًا لم يخف عليَّ، وإن كان صادقًا اتَّبَعْتُه، فأقبلت، فلما قدمت المدينة استشرف لي الناس، وقالوا: جاء عدي بن حاتم، جاء عدي بن حاتم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لي: ((يا عدي بن حاتم، أسلِمْ تسلمْ))، قال قلت: إن لي دينًا، قال: ((أنا أعلم بدينك منك - مرتين أو ثلاثًا - ألستَ ترأسُ قومَك؟))، قال قلت: بلى، قال: ((ألستَ تأكل المِرْبَاع (ربع غنائم الحرب)))، قال قلت: بلى، قال: ((فإن ذلك لا يحِلُّ لكَ في دينِكَ))، قال : فتضعضعت لذلك، ثم قال: ((يا عدي بن حاتم، أسلِمْ تسلم، فإني قد أظن - أو قد أرى أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - أنه ما يمنعك أن تسلم خصاصة (حاجة وفقر) تراها من حولي، وتوشك الظعينة (المرأة على البعير في الهودج) أن ترحل من الحيرة بغير جوار حتى تطوف بالبيت، ولتفتحن علينا كنوز كسرى بن هرمز، وليفيضن المال - أو ليفيض - حتى يهم الرجل من يقبل منه ماله صدقة)).

قال عدي بن حاتم: "فقد رأيت الظعينة ترحل من الحيرة بغير جوار حتى تطوف بالبيت، وكنت في أول خيل أغارت على المدائن على كنوز كسرى بن هرمز، وأحلف بالله لتجيئن الثالثة، إنه لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لي"؛ رواه ابن حبان.

والذي نلاحظه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد بيَّن له وجه الخطأ فيما هو عليه؛ ولكن تم في أحسن صورة جدال وأرفقه بالخصم، كما بيَّن له الرسول عليه الصلاة والسلام في جداله أنه أعلم بدينه منه، وأقام الحجة في ذلك في إطار من الرفق والشفقة، وإظهار حب الخير له حتى هداه الله إلى اعتناق الإسلام.

وحثَّ النبي صلى الله عليه وسلم على ترك المراء والجدال في جميع الأحوال، فقال: ((أنا زعيمٌ ببيْتٍ في رَبَضِ الجنَّةِ لِمَن ترَك المِراءَ، وإنْ كان مُحِقًّا))؛ رواه أبو داود، وربض الجنة؛ يعني: أسفل الجنة.

يقول ابن الجوزي في كتابه الإيضاح: أول ما تجب البداءة به: "حسن القصد في إظهار الحق طلبًا لما عند الله تعالى، فإن آنس من نفسه الحيد عن الغرض الصحيح فليكفَّها بجهده، فإن ملكها، وإلا فليترك المناظرة في ذلك المجلس، وليتق السباب والمنافرة؛ فإنهما يضعان القدر، ويكسبان الوزر، وإن زل خصمُه، فليوقفه على زلله، غير مخجل له بالتشنيع عليه، فإن أصر أمسك، إلا أن يكون ذلك الزلل مما يحاذر استقراره عند السامعين، فينبهم على الصواب فيه بألطف الوجوه جمعًا بين المصلحتين."

إذًا الجدال له حالتان:

الأولى :الجدال المحمود؛ وهو الذي يكون لتبيين الحق وإظهاره، ودحض الباطل وإسقاطه، وهو الذي أمرت به الأدلة الشرعية، وفعله العلماء قديمًا وحديثًا.

الثانية :الجدال المذموم؛ وهو الذي يقصد به الغلبة والانتصار للنفس، وهو الذي تحمل عليه الأدلة الشرعية الناهية عن الجدال.

ويمكن للإنسان أن يعرف أن الشخص يماري أو يجادل من خلال طريقته في الكلام، وموقفه مما يُعرض عليه من الأدلة والحجج.

فالذي يجادل من أجل بيان الحق يقبل الأدلة الصحيحة، ويعمل بمقتضاها، إلا إذا كان عنده ما يعارضها مما هو أقوى منها؛ ولذلك فإنك تجد كثيرًا ممن يجادلون بالحق يرجعون عن أقوالهم إذا تبيَّنَ لهم خطؤها، ويأخذون بقول الآخرين؛ لأن هدفهم الوصول إلى الحق؛ لا الانتصار للنفس.

أما الذي يماري فتجده يصرُّ على رأيه من غير دليل، ولا يقبل من الأدلة إلا ما يوافق رأيه؛ ولذا فإنه يتكلف في رد الأدلة وتأويلها وصرفها عن دلالاتها ونحو ذلك مما يدل على أنه لا يريد الحق؛ وإنما يقصد الانتصار لنفسه.

وسائل تبليغ الدعوة

لتبليغ الدعوة عدة وسائل منها:

أولًا: القدوة الحسنة:

وهي وسيلةٌ من أنجح الوسائل في الدعوة إلى الله تعالى، فإذا كان الداعية إلى الله تعالى قدوةً حسنةً فيما يدعو إليه، فإنه يؤثر في الناس بعمله وشخصيته.

وعلى العكس من ذلك فإن انحراف المؤمن وسوء خُلُقه من أهم الوسائل التي تصدُّ الناس عن الإسلام، وتبعدهم عن طريقه المستقيم؛ لأن الناس ينظرون إلى الإسلام من خلال من يدعو إليه، فإن كان قدوةً حسنةً في نفسه عملًا وقولًا، فإن كلامه ينفذ إلى القلوب كالسحر؛ لأنه بمثابة الطبيب الذي يُشخِّص الداء، ويصرف الدواء المناسب.

والرسول صلى الله عليه وسلم هو القدوة الحسنة للدعاة في عصرنا الحاضر، وقد أمرنا الله بالاقتداء به في أقواله وأفعاله وأحواله؛ قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

فالرسول صلى الله عليه وسلم في تبليغه الدعوة كان يعمل باستمرار لكي يرى الناس جميعًا قد استجابوا لدعوة الإسلام، ودخلوا في دين الله أفواجًا.

وللدعاة القدوة الحسنة في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم أجمعين، فقد كانوا القدوة الصالحة في العبادة والأخلاق والشجاعة والثبات على الحق، فهم خير القرون هَدْيًا، وأفضل العصور قدوةً.

وبهذه القدوة الحسنة انتشر الإسلام شرقًا وغربًا، ودخل الناس في دين الله أفواجًا بفضل ما تميَّز به الصحابة رضوان الله عليهم من قدوة طيبة، وأخلاق حسنة، وصدق، وأمانة، وحسن معاملة.

والتاريخ يُسطِّر بكل الافتخار والإعجاب أن الإسلام وصل إلى جنوب الهند وسيلان في المحيط الهندي، وإلى التبت وإلى سواحل الصين وإلى الفلبين، وجزر إندونيسيا، وشبه جزيرة الملايو، ووصل إلى أواسط أفريقيا في السنغال ونيجيريا والصومال وتنزانيا ومدغشقر وزنجبار وغيرها من البلاد، بواسطة تجار مسلمين، ودعاة صادقين أعطوا الصورة الصادقة عن الإسلام في سلوكهم وأمانتهم، وصدقهم ووفائهم.

ثانيًا: التبليغ بالقول:

والقول هو الأصل في تبليغ الدعوة إلى الله تعالى، فالقرآن الكريم هو قول رب العالمين نزل به الروح الأمين على محمد صلى الله عليه وسلم؛ ليكون به التبليغ؛ قال تبارك وتعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٦].

وكان تبليغ رسول الله صلى الله عليه وسلم لرسالة ربِّه للناس بالقول؛ قال تعالى مخاطبًا رسوله، وآمرًا له أن يقول للناس: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [يونس: ١٠٨]، فلا ينبغي للداعي أن يغفل مكانة القول في تبليغ الدعوة،

ولا أثر الكلمة الطيبة في النفوس، فالقول إذًا هو الوسيلة الأصيلة في إيصال الحق للناس.

ما يشترط في القول :

يُشترط في القول شروط حتى يكون وسيلةً من وسائل تبليغ الدعوة، من هذه الشروط:

١- أن يقول القول واضحًا بيِّنًا، لا غموض فيه ولا إبهام، مفهومًا عند السامع؛ لأن الغرض من الكلام إيصال المعاني المطلوبة إلى مَنْ يُكلِّمه الداعي، فيجب أن يكون الكلام واضحًا غاية الوضوح.

٢- أن يكون الكلام خاليًا من الألفاظ التي تحتمل حقًّا وباطلًا وخطأً وصوابًا، وعلى الداعية أن يستعمل الألفاظ الشرعية من القرآن والسنة والمستعملة عند علماء المسلمين؛ لأن هذه الألفاظ تكون محدَّدة المعنى، وواضحة المفهوم، خالية من أي معنى باطل قد يعلق في ذهن المدعو.

ما يشترط في القائل:

هناك شروط لا بد من توافرها في القائل حتى تؤتي دعوتُه ثمرتها المرجوَّة، منها:

١- يجب على الداعي أن يتأنَّى في كلامه، فلا يسرع؛ بل يتمهَّل حتى يستوعب السامع كلامه ويفهمه؛ فعن أنس رضي الله عنه، "أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا تكلَّمَ بكلمةٍ أعادَهَا ثلاثًا، حتى تُفهَمَ عنهُ، وإذا أتَى علَى قَومٍ فسَلَّمَ عليهِم، سلَّمَ عليهم ثلاثًا"؛ رواه البخاري.

٢- أن يبتعد الداعي عن التكلُّف والتعاظُم في نطقه؛ فعن ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ((هلك المتنطِّعون)) ، قالها ثلاثًا؛ رواه مسلم . والمتنطعون: المتعمِّقون المشدِّدون في غير موضع التشديد.

٣- أن يبتعد الداعي عن الاستعلاء على المدعوِّ واحتقاره وتحديه، وإظهار فضله عليه، وإنما عليه أن يكلمه بروح الناصح المخلص المتواضع الذي يُدلُّ غيرَه على ما ينفعه ويعرفه به.

٤- أن يتلطَّف الداعي بالقول، فيستعمل في كلامه وخطابه ما يُثير رغبة المدعوِّ إلى السماع، وخير دليل على ذلك ما حكاه القرآن الكريم على لسان سيدنا إبراهيم : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴾ [مريم: ٤٢]، فسيدنا إبراهيم عليه السلام ذكر لأبيه رابطة الأبوَّة التي من شأنها أن تجعل الابن حريصًا على مصلحة الأب، وتجعل الأب جديرًا بأن يُصغي إلى خطاب ابنه.

أنواع القول:

ينقسم القول باعتباره الأصل في تبليغ الدعوة إلى الله تعالى إلى أنواع:

١- الخطبة:

تعتبر الخطبة وسيلة هامة من وسائل التبليغ بالقول، ولها أهمية كبيرة؛ وهي إرشاد الناس إلى الحقائق، وحملهم على ما ينفعهم في الدنيا والآخرة، والخطابة معدودة من وسائل السيادة والزعامة.

ولو نظرنا إلى الدعوة الإسلامية، لوجدناها قد جاءت في قوم اشتهروا بالبلاغة والفصاحة وقوة البيان، قوم القول صناعتهم، والبلاغة عنايتهم، فكانت الخطابة

الأداة الأولى للدعوة الإسلامية، وفي التاريخ نجد خطبًا وخطباء كثيرين قد اشتهروا.

٢- الدرس:

يعتبر من وسائل تبليغ الدعوة، ولا يقلُّ أهميةً عن الخطبة؛ بل الدرس أصعبُ؛ لأن الخطبة تكون في موضوع معين، والخطيب لا يعنيه إلا ما يتصل بغرضه من الخطبة، أما المدرِّس فقد يستطرد في موضوعه بسبب الأسئلة التي تُوجَّه إليه من الحاضرين، والدرس عادة يكون في المسجد بغرض شرح آية أو حديث، والمفروض في الداعية أن يكون على صلة وثيقة بالأحداث التي تجري حوله في المجتمع، وأن يستخلص من الآية أو الحديث أو القصة ما يحتاج إليه المستمعون، ومن هنا فإن فائدة الدرس عظيمة؛ حيث يستطيع الحاضر أن يسأل المدرس، ويستفسر عن كل ما يجول بخاطره.

٣- المحاضرة:

وهي عبارة عن معلومات منسَّقة، يُعالج بها المحاضر موضوعًا معينًا من الموضوعات من غير أن يلجأ إلى الانفعال والإثارة.

والمحاضرة الناجحة تهدف إلى هدف معين ومحدد، وتوضح هذا الهدف وتبيِّنه البيان المقنع، ويجب على المحاضر أن يكون دقيقًا في كلامه، لا يُلقي القول جزافًا، ولا يُكثِر من العبارات العاطفية؛ لأن مجالها الأصلي الخطبة وليس المحاضرة.

فالمحاضر يختار موضوع المحاضرة مما يعرض له من مشاكل الحياة، ثم يدرسه دراسة عميقة، مدعمًا الدراسة بالحجج والبراهين، والأدلة الواضحة، ثم يختار له النصوص التي تُؤيِّده من القرآن والسنة والأحداث التاريخية الصحيحة.

٤- الكتابة:

وهي وسيلة جيدة لو أحسن الداعية القيام بها، ويجب أن تكون الكتابة بأسلوب سهل ممتع، يفهمه عامة الناس.

وعند كتابة مقالة دعوية لا بد من اختيار مفردات بسيطة سهلة الفهم، واجتناب الكلمات الصعبة التي تحتاج إلى تفسير وشرح لمعانيها، وإذا دعا السياق لذكر كلمة غير معروفة، فلا بد من بيان معناها للقارئ.

والكتابة إما أن تكون كتابة رسائل إلى من يريد الداعي دعوتهم، وإما أن تكون بتأليف الكتب والأبحاث والمقالات في المجلات وغيرها، وكلها وسيلة جيدة للدعوة إلى الله تعالى.

٥- ضرب الأمثال:

ضرب الأمثال له أهميته بين فنون القول وقدرته على التأثير في المخاطب؛ يقول الإمام السيوطي رحمه الله: ضرب الأمثال يستفاد منه أمور كثيرة: منها تقريب المراد للعقل، وتصويره بصورة المحسوس، فإن الأمثال تصوِّر المعاني بصورة الأشخاص؛ لأنها أثبت في الأذهان، لاستعانة الذهن فيها بالحواس، ومن ثم كان الغرض من المثل التشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالمشاهد، ومن هنا فإن ضرب الأمثال يعتبر وسيلة من وسائل الإقناع؛ حيث إن المورد للمثل إنما هو في الحقيقة يقيس الأمر الذي يدعيه على أمر معروف عند من يخاطبه، والقرآن الكريم زاخر بضرب الأمثال؛ لقدرتها على التأثير في نفس المخاطب.

٦- الجدل عند الحاجة إليه:

النفس البشرية متعددة الجوانب من وجدان وعقل وإرادة، والتعامل معها لا بد أن يتجه إلى كل منافذ التأثير فيها؛ لكي نوصل إلى تغيير ما بها من عقائد فاسدة، ليحل مكانها الإيمانُ بالدعوة ومبادئها، والقرآن الكريم في دعوته يلاحظ الطبيعة البشرية، ولا يترك بابًا يمكن أن ينفذ منه ليحقق هدفه، ومن هنا اتجه بدعوته إلى العقل والمنطق ينفي الشبهة ويسوق الدليل.

٧- القسَم:

يعتبر القسم وسيلة من وسائل التبليغ بالقول، وله خصائص تمنحه القدرة على التأثير، وتجعل المتكلم يختاره ليستعين به إذا كان المقام يقتضيه، فالقسم يقوم بدور التهيئة النفسية للمخاطب وإثارة انتباهه لما سيخبر به، فيستقبل القسم مستجمعًا حواسه، مركزًا فكره وانتباهه إليه، وذلك لأن الإنسان إذا حلف على شيء كان ذلك دالًّا على أهميته، وأنه مما تجب العناية والإقبال عليه، وقد روي عن بعض الأعراب أنه سمع قوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٣]، فصاح الأعرابي وقال: يا سبحان الله من الذي أغضب الجليل حتى حلف؟!

٨- وسائل الإعلام:

وسائل الإعلام بكافة أنواعها وسيلة عظيمة من وسائل التبليغ، إذا أُحسن استغلالها، فالصحف اليومية، والمجلات الأسبوعية أو الشهرية والنشرات الدورية، والإذاعة والتلفزيون، كل هذه وسائل هامة ومفيدة في نشر الدعوة وتبليغها للناس؛

لأننا نلاحظ أن كل ما يبث عن طريقها يتقبَّله الناس ويفهمونه، وله أثره في نفس السامع والقارئ.

وهذه الوسائل سلاح ذو حدَّينِ تستعمل للخير، وتستعمل للشرِّ، وما دامت هذه الوسائل لها خطرها في التبليغ، فمن الواجب على الأمة الإسلامية أن تُوجِّهها الوجهة الصحيحة، وجهة يكون أساسها البناء لا الهدم.

٩- القصص الديني:

القصص الديني بأسلوبه الجميل له دوره العظيم في الدعوة إلى الله من خلال القرآن الكريم، ويمتاز القصص الديني بسموِّ غاياته، وشرف مقاصده، وعلوِّ مراميه؛ حيث اشتمل على فصول في الأخلاق مما يهذب النفوس، ويجمل الطباع، وينشر الحكمة والآداب، وطرق في التربية والتهذيب شتى، تُساق أحيانًا مساق الحوار، وطورًا مسلك الحكمة والاعتبار، وتارة مذهب التخويف والإنذار، كما حوى كثيرًا من تاريخ الرسل مع أقوامهم، وشرح أخبار قوم هُدوا، فمكَّن الله لهم في الأرض، وأقوام ضلُّوا، فساءت حالهم، وخربت ديارهم، ووقع عليهم العذاب والنكال، كل هذا قَصَّهُ الله في قول بَيِّن، وأسلوب حكيم، ولفظ رائع؛ ليدل الناس على الخُلُق الكريم، ويدعوهم إلى الإيمان الصحيح.

كيفية إعداد الخطبة أو الدرس

قبل البَدْء بإعداد الخطبة لا بدَّ للداعية أن يدرك المسؤولية التي تقع على عاتقه في زمَنٍ كثُرَتْ فيه الفتنُ والمخالفاتُ الشرعية، فيختار مواضيعَ يحتاجها المجتمع، تمسُّهم وتُفيدهم، فمثلًا إذا كان يُوجِّه خطابه لمجموعة المعلمين، فليس من المناسب أن يخطب عن آداب وأحكام التجارة في الشرع.

فإذا تفشَّتْ معصيةٌ في مكان مُعيَّن، فلا بُدَّ من أن يحارب هذه المعصية أوَّلًا، بدلًا من التركيز على الحديث عن معصية أخرى غير منتشرة، وهكذا، إذًا لا بُدَّ من اختيار موضوع أو فكرة تمسُّ بالفعل مَنْ يُوجَّه إليهم الخطاب.

أيضًا لا بُدَّ من التأكُّد من صحَّة كل معلومة وحديث يقوله الداعية أو يكتبُه، خصوصًا لو كان الكلام موجَّهًا للعامَّة غير الدارسين للعُلُوم الشرعيَّة، ولا قدرة لديهم على التمييز بين الصواب والخطأ، وسيعتبرون ما يسمعونه كلامًا صحيحًا مُسلَّمًا به.

وقد تكون هناك معلومة مشهورة لكن مبنية على حديث ضعيف، وهكذا، فلا بُدَّ من التأكُّد من كل حرف يقوله أو يكتبه الداعية؛ حتى لا يحمل وِزْرَ كلِّ مَنْ يعمل بما يقوله، وهذا يكون باختيار مصادر موثوقة لجَمْع المادة العلمية، فلا يأتي بمعلومة من مصدر مجهول، أو من رسالة وصلته عن طريق وسائل التواصُل دون الوثوق بمصدر المعلومة أو التأكُّد من صحَّتِها.

ولا يعتمد الداعية على عقله فقط، ذكر ابن عبدالبر عن أحد السلف قوله: مَن أُعْجِب برأيه ضلَّ، ومَن استغنى بعقله زلَّ.

خطوات كتابة الخطبة:

١- لاستعداد النفسي والبدني، وتفريغ الذهن، وتوحيد الهَمِّ، والتركيز فيما سيُلقيه على عباد الله المسلمين.

٢- اختيار الموضوع المناسب الذي يهمُّ المسلمين، ويحتاجون إليه بمشورة الإخوة والناصحين العالمين بواقع أُمَّتِهم.

٣- جَمْع الآيات في هذا الموضوع، ومراجعة تفسيرها من التفاسير المعتمَدة عند أهل السنة؛ كتفسير الطبري، وابن كثير - رحمهما الله تعالى - وغيرهما، والرجوع إلى ما يحتاجه من تفاسير الأحكام، والمعاني مع الاحتراز مما يخالف اعتقاد الصَّدْر الأوَّل، والقرون الثلاثة المفضَّلة؛ وهو أمرٌ لازم

٤- جَمْع الأحاديث في الموضوع، وتخريجها تخريجًا مُخْتَصَرًا، ومعرفة الصحيح من الضعيف؛ المقبول منها والمردود، فلا يُلقي على المسلمين إلَّا الأحاديث المقبولة.

٥- جَمْع الآثار السلفيَّة، والعبارات الذهبية، والانتقاء من أطايب كلامهم، كما يُنتقى أطايبُ الثَّمَر.

٦- جَمْع الأمثلة والمواقف العملية والنماذج الحية التي تترجم الموضوع ترجمةً حيةً؛ ليرتبط العلم بالعمل؛ فَهُما - العلم والعمل - وجهان لعملة واحدة، ولا ينفصلان ألبتة.

٧- وعليه أن يحرص على الإفادة من مراكز المعلومات، والموسوعات العلمية؛ المطبوعة والإلكترونية، فهي توفِّر الجهد والوقت، وتساعد الخطيب على جَمْع مادة علميَّة متنوِّعة ومتميِّزة.

٨- القَصَص النافع الهادف الذي يزيد الموضوع وضوحًا وترجمةً، ويُسلي القوم مع الإفادة منه؛ ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾]يوسف: ١١١[.

٩- التعريف بالوسائل المعينة، والترغيب فيها، والحث عليها.

١٠- التعريف بالمعوقات، والترهيب منها، والحث على اجتنابها.

١١- إن كان يتحدث عن مشكلة ما، فلا بد أن يُبَيِّنَ مظاهرها في الواقع، وأن يذكر أسبابها، وأن يعرضَ الحلَّ المناسب، ويُفَصِّل فيه بطريقة عملية مناسبة؛ فهو المقصود.

١٢- مراجعة القواميس العربية؛ كـ"لسان العرب"، و"القاموس المحيط"، و"مختار الصحاح"، و"المعجم الوسيط."

١٣- لا بدَّ من توثيق كل معلومة، ونسبة كل قول إلى قائله قَدْرَ المستطاع.

١٤- إجمال الخطبة في كلمات معدودة، وتلخيص ما تحدَّث عنه؛ ليحفظه السامع ويتذكَّره؛ فمن البلاغة ردُّ العَجُزِ على الصَّدْر.

وبالنسبة للدرس فقد يكون مسموعًا، وهنا فإن طريقة الإلقاء مهمة جدًّا في توصيل الكلام للسامع، وتتطلَّب تفاعُلًا صادِقًا لجسم المتحدِّث وعقله مع ما يقول؛ جسمه، وصوته، وعينيه، وقسمات وجهه، وعليه توجيه كِيانه وحضوره كله إلى مهمَّة الاتصال مع جمهور المستمعين، وهذا يتطلَّب مُراعاة بعض الأمور منها:

١- وَضْع الجسم:

لا تقف مُتجمِّدًا في مكان واحد، ولكن حرِّك يديك وجسمك بإيماءات مناسبة للكلام، ويمكن أن تتدرَّب قبلها أمام مرآة بحيث تكون الإيماءات مُعبِّرة، وليست مجرد حركات عشوائية مُتنافرة مع الكلام.

٢- الاتِّصال البصري:

من المهم توزيع النظرات على جميع الحاضرين والتنقُّل من واحد إلى آخر، وتجنَّب النظر في الفراغ أو التركيز على نقطة واحدة أو مجموعة معينة فقط، أشعِرْهم أنك تتكلَّم مع كل شخص فيهم، أو على الأقل إلى كل منطقة تجمع عددًا منهم، وعليك إدراك أحوال السامعين أثناء الحديث، هل هم مُقبِلون عليك، فتسترسل في الحديث، أم معرضون عنك فتتَّجه إلى ناحية أخرى، ومن المهم أيضًا ملاطفة الجُلَساء حتى لا يشعروا بالسأم، ولا يدخلهم الفتور.

وهذه بعض النصائح التي من المفترض مراعاتها أيضًا في الدرس:

- الابتعاد عن اختيار كلمات صعبة لا يفهمها الحضور.
- أن تكون الأسئلة التي تطرح يمكن إجابتها من الجمهور.
- الابتعاد عن الحركات الكثيرة، وحُسْنُ المظهر.
- الإيجاز في الإجابة وعدم التعجُّل فيها.
- الاستعداد للأسئلة المفاجئة.

- قولك لا أعلم ليس عيباً، ولا انتقاصًا منك، ويمكنك بكل بساطة أن تُخبرهم بأنك ستبحث عن الإجابة، ثم تُجيب عن السؤال.

عن الهيثم بن جميل: شَهِدْتُ مالِكًا سُئل عن ثمانٍ وأربعين مسألةً، فقال في ثنتين وثلاثين منها لا أدري.

الخاتمة

ما أعظم رسالةَ الإسلام! وما أجملَ حياةَ مَنْ عاشَ في كنفها! وما أشقى حياةَ مَنْ أعرضَ عنها! وللداعية دورٌ عظيمٌ في إيصال كلِّ هذه المعاني للناس، وحتى يستطيع أن يوصلها للناس لا بُدَّ من منهج علمي عملي صحيح يسير عليه.

اللهم وفِّق العاملين المخلصين في حَقْل الدعوة الإسلامية لإنجاحها وتبليغها للناس.

الفهرس

مسلسل	الموضوع	رقم الصفحة
١	تمهيد	١
٢	المقدمة	٢
٣	أهمية الدعوة	٣
٤	مفهوم الدعوة الإسلامية	١٦
٥	حكم الدعوة إلى الله	١٧
٦	أنواع الدعوة	٢١
٧	أركان الدعوة	٢٦
	الركن الأول : الداعي	٢٦
	صفات الدعاة	٢٨
	الركن الثاني: المدعو	٤٨
	الركن الثالث: المدعو إليه	٥١
	الركن الرابع: الأساليب (منهج الدعوة)	٥٤
	الأسلوب الأول : الحكمة	٥٤

	الأسلوب الثاني: الموعظة الحسنة	٥٨
	الأسلوب الثالث : الجدال بالتي هي أحسن	٦٥
٨	وسائل تبليغ الدعوة	٧١
	أولا : القدوة الحسنة	٧١
	ثانيا: التبليغ بالقول	٧٢
	كيفية إعداد الخطبة أو الدرس	٧٩
٩	الخاتمة	٨٤

هذا الكتاب منشور في
شبكة الألوكة
www.alukah.net